الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبية
وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة د. مولاي الطـــاهر– سعيدة –
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابـــها

الإتّجـــــــاه الإسلامي في شعر "محمد العيـــد آل خليفة"

مذكرة لنيل شهادة المـــاستر في اللغة العربية وآدابـــها

التخصص : نقد عـــربي قديم.

إعداد الـــــطالبين:

✍ صلاح عبد الواحد.

✍ قـــــايد سميـــرة.

إشراف الأستـــــاذ:

✍ د. دحمـــــاني شيخ

أعضاء اللجنة المنـــــاقشة :

الدكتور : ..... زروقـــي معمـــر ..... جـــــامعة سعيدة ..... رئيســـــــــاً

الدكتور : ..... دحمـــــاني شيخ ..... جـــــامعة سعيدة ..... مشرفـــاً ومقرراً

الدكتور : ..... سحـــــنين علي ..... جـــــامعة سعيدة ..... مُنـــــاقشاً

السنة الجامعية : 2024م/2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا تسعفنا الكلمات والعبارات كي نرتّبها شكراً وعرفاناً لك؛

أنت المنارة التي تضيء عتمة العقول والزهرة التي تنبث في القلب وترويها بعلمك ومعرفتك وثقافتك؛

فلولاك لما إستطعنا أن نكتب حرفاً واحداً، ولولاك لما كان للمعرفة وجود في عقولنا؛

فاسمح لنا بأن نقدّم لك رسالتنا بحروفها الخجولة، وكلماتها المتعلثمة، فمهما تكلمنا عنك لن تجف أقلامنا فطوبى لك، فبأمثالك ترتقي الأمم، وبك تعلو المراتب، وبك أيضاً يصبح الحلم حقيقة فكم من طالب أصبح مجتهداً بفضلك، وأمسى بوظيفة داعبت خياله ووصل إليها بفضلك؛

فأنت يا أستاذنا قاهرة الجهل، أثلجت صدرينا بكلماتك اللبقة المتسلسلة كعقدٍ.....بتلك الكلمات نكتفي ونعترف بأنّنا لم نحمل الشهادات العالية، لكنّنا نحب المطالعة والكتابة والإبداع، وبعد لقائنا بك أستاذنا جعلت من حروفنا عقوداً لا تداس على الأرض؛ شكرا لك يامنارة العقول، والعقول تكبر بالإقتراب منك، فمرحى لك وكم تبدو كلمة"شكرا"صغيرة وسطحية وبلا معنى أمام حضرة الأستاذ الدكتور :" **دحمـــــــاني شيخ** " ورغم هذا إسمح لنا أن نقول لك شكراً بحجم عطائك الذي ليس له حدود وشكرا بحجم الكون إلى أستاذنا نكتب.

صلاح عبد الـــواحد - قـــايد سميرة

إهـــداء

«من قال أن لها نيلًا، وأنا لها إن أبت رغما عنها أثبت بها»

لم تكن الرحلة قصيرة، ولم يكن الطريق مفروشًا بالتسهيلات، لكنني مضيت بثبات، صبرت، وثابرت...

إلى من منحني أجمل الألقاب، وساندني دون حدود، وأهداني دروس الحياة بلا مقابل، إلى من علّمني أن النجاح لا يستلزم المعرفة، ومن غرس في روحي مكارم الأخلاق، فكان قدوتي ومثلي،

إلى فخري واعتزازي { **والدي العزيز** }

إلى الجند المجهول، إلى ملهمو نجاحي، إلى من كانوا لي سندًا وعونًا،

إلى من وجدت فيهم نبعًا لايروى منه عطشي، أحبتي **لعداوي توفيق، فوزي حمادو، براهمي سلمان عبد الكريم، عامر محمد أمين، ملاوي البشير، بشارف صلاح الدين، علواني زواوي /زواوية، زغوار محمد أمين، بوعلام عبد المجيد، ياحي محمد، غوتي سمير،**

شكرًا لكم من القلب.

إلى من كان لي عونًا وسندًا، إلى من مدّ لي يده بعلمه ووقته دون تردد، إلى من لم يبخل عليّ بخبرته، ورافقني بخطاه حتى اكتملت هذه المذكرة **حسين** أهديك كل كلمات الامتنان، وكل معاني التقدير. فلك مني جزيل الشكر، وعظيم العرفان.

وأخيرا... إلى نفسي التي واجهت الفشل، وعادت تتنفس رغم العثرات، إلى روحي وأحلامي التي لم تستسلم، مهما حدث، أنا الآن أستحق وبقوة هذا الشعور.

وأحمد الله حمداً طيباً مباركًا فيه أن أنعم عليّ بعقلٍ يدفعني بما علمني، وأن يلهمني من العلم ما يكون هذا العلم حجة لي لا عليّ.

صلاح عبد الواحد

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

طوينا الأمس أتعاباً عظاماً ...

وفاح السعد كالعطر الخزامي ...

بلغنا بالتخرّج ما طلبنا ونلنا الحلم ...

حقّقنا المرام

وحلمنا كان تتويجه بلغنا بالمنى حلمنا ...

وصرنا اليوم خرّيجاً

بمناسبة النّجاح، نرسل باقة حبٍّ، مليئةٍ بالفخر إلى من كان لهم الفضل بعد الله في وصولنا إلى هذه المرحلة :

إلى الوالدين العزيزين؛

كما أهدي هذا العمل المتواضع، تعبيراً عن امتناننا وحبّنا العميق إلى أساتذتنا الكرام؛

ومشرفنا العزيز الدكتور : " دحماني شيخ "

إلى الذين لم يبخلوا بعلمهم وتوجيهاتهم، أهدي هذا الجهد تقديراً لعطائكم اللّامحدود، وعرفاناً لوقوفكم بجانبنا؛

كما أهدي هذا الإنجاز وأخصّ بالذّكر الأستاذ والدكتور الفاضل : "زروقي معمر" الذي كان جزء من هذا البحث؛ فإنّنا نشكره من القلب على جهوده الكريمة ونصائحه وتوجيهاته، وإلى كل من دعمونا بكلمة أو فعل أو دعاء؛

نهديكم ثمرة جهدنا راجين من الله عزّ وجّل أن تنال رضاكم.

قـــايد سَميرة

قائمة المختصرات

باللغة العـــــــربية :

* ع : عدد.
* ص : صفحة.
* د.ص : دون صفحة.
* ج 1 : جزء الأول.
* ط : طبعة.
* د.ط : دون طبعة.
* د.س: دون سنة.
* م : ميلادي.
* تر : ترجمة.
* تح : تحقيق.

مقدمة

مقـــــدّمة :

يشكّل الشّعر أحد أرقى أشكال التّعبير الأدبي التي رافقت الإنسان منذ القدم، فقد كان ولازال وسيلة فعّالة لنقل القيم والتّجارب والرؤى الفكرية. و في السياق العربي، لم ينفصل الشّعر يوما عن الدّين، بل كان منذ البدايات الأولى نافذة عبّر من خلالها الشّعراء عن تفاعلهم مع التّعاليم الإسلاميّة والدّفاع عن قضايا الأمّة، ومن هنا برز الأدب الإسلامي كاتّجاه مميّز في الأدب العربي الحديث، جمع بين الجماليّة الفنيّة والرؤية المستمدّة من العقيدة الإسلاميّة، مستندًا في ذلك إلى قيمها ومبادئها في مقاربة القضايا الإنسانيّة والاجتماعيّة. وقد حظي هذا باهتمام متزايد من قبل النّقاد والباحثين لما يطرحه من إشكالات فكريّة وجماليّة، وسعيه إلى تحقيق التّوازن بين الإبداع والالتزام. فمن بين الأصوات الشّعرية التي برزت في العصر الحديث والتي اهتمت بهذا المجال، صوت الشّاعر"محمد العيد أل خليفة"، هذا الشّاعر الذي جمع في قصائده بين الالتزام الدّيني والهمّ الوطني جاعلا من الإسلام منطلقه الفكريّ والجماليّ في التّعبير عن القضايا التي تؤرق مجتمعه، لاسيما في ظلّ الاستدمار الفرنسي وما خلّفه من آثار على الهويّة والدّين.

وهو الأمر الذي شدّ انتباهنا، لهذا، قرّرنا أن يكون البحث في مجال الأدب الإسلامي عند "محمد العيد أل خليفة"، هو موضوع مذكّرتنا للماستر. حيث يكتسي هذا الموضوع أهميّته من حيث أنّه يدرس أحد الأصوات الشّعرية الوطنيّة والدينيّة التي لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة والاهتمام رغم غزارة إنتاجه وقيمة مضامينه.

انطلاقا من هذا المنظور، جاءت دراستنا الموسومة ب"الاتجاه الإسلامي في شعر محمد العيد أل خليفة"، من أجل تسليط الضوء على البعد الديني في شعره وتحليل مظاهره وتجلياته والكشف عن مدى تأثير المرجعيّة الإسلاميّة في تشكيل مضمونه الشّعري، كما تسعى هذه الدّراسة إلى البحث في مدى ارتباط الأدب الإسلامي بخصوصيات المرحلة التّاريخيّة والاجتماعيّة التي عاشها الشّاعر.

فكان من بين ما دفعنا إلى الإصرار على اختيار هذا الموضوع للبحث،دافع ذاتيّ وآخر موضوعيّ، و المتمثّل في:

- الدافع ذاتيّ :

- رغبتنا الملحّة في معالجة هذا النّوع من القضايا التي لها علاقة بهويّتنا وبتخصّصنا النّقديّ.

- الدافع موضوعيّ :

- تشجيع الطّلبة على البحث والاهتمام بالأدب الإسلامي في الشّعر العربي عامّة والشّعر الجزائري على وجه الخصوص.

وبناء على ما سبق، قمنا بقراءة استكشافيّة لبعض الكتب والمقالات وكذا المذكّرات التي عالجت هذا الموضوع، جعلتنا نضع تصوّرا تتحدّد إشكاليته وتتمحور حول"**كيف تجلى الاتجاه الديني في شعر محمد العيد أل خليفة** ؟". حيث أسفر عن هذه الإشكالية ظهور أسئلة فرعيّة ملحّة تثار حول موضوع البحث تتمثّل في :

- ماهي أهم مظاهر التّوظيف الديني في شعر محمد العيد أل خليفة؟؛
- هل عبّرت عن التزامه بقضاياه الدينيّة؟؛
- ماهي القضايا الدينيّة والإسلامية في شعره؟ وكيف تجلّت في ذلك؟؛
- إلى أيّ مدى وُظّفت الخصائص الفنيّة والجماليّة في شعره؟.

ومن أجل محاولة الإجابة على الأسئلة أعلاه، رسمنا خطّة البحث التي ضمّناها مدخلا و فصلين، إضافة إلى المقدّمة والخاتمة وملحقا في آخر الخاتمة، بحيث:

- عنونا المدخل بـ"المؤثّرات الإسلاميّة في شعره"، تناولنا فيه عنوانين فرعيّين هما: المؤثّرات البيئيّة والاجتماعيّة في شعر محمد العيد أل خليفة؛ إضافة إلى عنوان التّأثير المشرقي في شعره؛
- أمّا الفصل الأوّل فجاء معنونا بـ"القضايا الدينيّة والإسلاميّة في شعر محمد العيد أل خليفة"، قسّمناه بدوره إلى أربعة عناوين رئيسة، تناولنا في العنوان الأوّل العقيدة الإسلاميّة والتّوحيد،

وفي الثاني الإصلاح الديني، أمّا الثّالث فتحدّثنا فيه عن المناسبات الدينيّة، والعنوان الرئيس الأخير في هذا الفصل هو الأخلاق والعبادات ؛

- بالنّسبة إلى الفصل الثاني، فكان عنوانه موسوما بـ"الخصائص الفنّية والجماليّة في شعره"، وقد قسّمناه إلى خمسة عناوين رئيسة، تناولنا فيها على التّوالي العناوين التّالية: ثنائيّة الشّكل والمضمون، الالتزام الديني في شعره، اللّغة القرآنيّة، السيرة النبويّة، الدّفاع عن الإسلام ؛
- وفي الأخير خاتمة ضمّناها أهم نتائج هذه الدّراسة .

وقد ارتأينا بأنّ المنهج الملائم لهذه الدّراسة والذي يتوافق مع خطّة البحث، هو المنهج الموضوعاتي؛ وهو منهج يقوم على تحليل النصوص الأدبية واستخراج الموضوعات والأفكار الرئيسة فيها، والتي تتكرّر بشكل لافت لتشكّل مضمون النّص. وهو ما قمنا به إجرائيا في هذه الدّراسة.

فكان من جملة الكتب والمقالات والمجلات التي اعتمدناها كمصادر ومراجع لهذا البحث، والتي لاندّعي أنّها الأنسب والأصح، بل لنشير إليها، لربما غفلنا عن مصادر ومراجع أنسب منها لهذه الدّراسة. مايلي :

- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. لسيد قطب ؛
- شاعر الجزائر محمد العيد أل خليفة. لأبي القاسم سعد الله ؛
- الشعر الديني الجزائري الحديث. لعبد الله ركيبي ؛
- العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد أل خليفة.لابن سمينة محمد؛
- موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري. لأبي اليقظان.

كما تجدر بنا الإشارة إلى أنّ هذه الدّراسة وكغيرها من الدّراسات الأخرى، قد لقينا فيها بعض الصعوبات التي واجهتنا في مسار بحثنا، والمتمثّلة في :

- عدم قدرتنا على الاطلاع على كلّ الأعمال الشّعريّة لمحمد العيد أل خليفة؛

- كثرت الدّراسات التي تناولت هذا الموضوع و تشعبها وكذا قلة الوقت للاطّلاع عليها كلّها؛

لكن بحمد من الله وتوفيقه، استطعنا تجاوز بعضا من هذه العقبات و إكمال المسير في إنجاز هذا العمل.

ولايسعنا في الأخير، إلا أن نحمد الله على كرمه ومَنّه علينا، كما لا ننسى مشرفنا وأستاذنا الفاضل "الشيخ دحماني" الذي كان لنا عونا وسندا، و الذي ساهم معنا في هذا المنجز بتوجيهاته وملاحظاته، فله منا جزيل الشّكر و له منا فائق الودّ والاحترام .

والله المستعان .

سعيدة، في:2025/06/13 .

الطّالب : صلاح عبد الواحد .

الطّالبة : قايد سميرة .

مدخـــل :

المؤثّـــرات الإسلامية في شعـــره.

01. المؤثّـــرات البيئية والاجتماعية.

02. التأثيـــــر المشرقي.

01. المؤثـــرّات البيئية والاجتماعية في شعر الشاعر :

لافت للنظر أنّ الشعراء الإصلاحيين لم يقفوا في تحديد ماهية الشعر وتعريفه، بل نجدهم يولون أهمّية كبيرة لوظيفة الشعر ودوره ومكانته في الحياة والمجتمع، ويناقشون مهمّة الشاعر ورسالته في التوجيه والتوعية؛ فإنّ الشعراء الإصلاحيين لم يكونوا مقلّدين وإن بقوا محافظين، وهم لم يكرّروا أقوال النقاد العرب القدامى، وإنّما حاولوا أن ينظروا إلى هذا الجانب من زاوية واقعهم وظروفهم السياسية والاجتماعية ويستفيدون من الشعر في سبيل نهضة البلاد ورقيّها وإصلاحها، وهذا يفسّر لنا إعطائهم هذه القيمة للشعر دون سائر الفنون الأدبية الأخرى، وهذه النظرة وإن كانت في أصولها قديمة الجذور؛ فإنّها تستجيب للواقع الجزائري الذي كان في بداية نهضته، وفي أوليّات مواجهته للثقافة الغربية الدخيلة، باعتبار الشعر يمثّل وجهاً ناصعاً من وجوه الحضارة العربية المعروفة بفصاحتها، إذ يقول "أبو اليقظان" : " الشعر هو مظهر تظهر فيه أحوال الأمّة ومشاعرها "[1]؛ وهذا ما دعى "مفدي زكريا" إلى العمل الجماعي لرفع منزلة الشعر والأدب "بتأسيس جمعية إخوان الأدب" لبناء لبنة خالدة في بناية مستقبل الجزائر.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الشعراء والنّقاد الإصلاحيين يتصوّرون أنّ الشعر هو استجابةً لواقع كان ينتظر فيه من الشعر أن يؤدّي دوراً قيادياً هامّا في المجتمع، في أنّ رسالة الشاعر الإصلاحية توجيهية تعليمية؛ ففي مقدّمة كتاب "شعـــراء الجزائر في العصر الحاضر" الذي يعتبر أوّل خطوة في النهضة الشعرية الجزائرية، يذهب مؤلّفه "محمّد الهادي السنوسي" إلى اعتبار الشعر العربي أداة كفاح بتأصيل قيم الشعب الجزائري ووسيلة من وسائل الرقي والنهوض؛ فالشاعر في المجتمع رسول ذا رسالة سامية؛ فعلى الشاعر إذن أن يسخّر شعره بخدمة هذه المبادئ؛ فلا يكتب إلاّ عن المجد، ولا يتغنّى بغير الشرف، وإنّ الشعر في مثل هذه المكانة ليهبّ الشاعر مكانةً القيادة والمسؤولية من أمّته "ليعيش حرّاً عزيزاً، ومرشداً أميناً، لا عبداً مهيناً، والواقع أنّنا نلمح في هذه النصوص النقدية إشارات خفية تدعو

[1] : أبي يقظـــان، ديـــوان، ج01، ط01، المطبعة العربية في الجزائر، الجزائر، 1350هـ، ص 04؛ ملفوف صالح الدين، جليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الأثر، ع : 20، جامعة خميس مليانة، الـــجزائر، جوان 2014م، ص 79.

إلى توظيف الشعر أداة للكفاح السياسي الوطني إلى جانب استخدامه أداة الإصلاح الاجتماعي؛ فهذا "محمّد الهادي السنوسي" يؤكّد على دور الشاعر الجزائري في بعث الإحساس الوطني في المجتمع، ويضرب لذلك مثلاً شعراء الثورة الفرنسية، ويبيّن للشعراء الجزائريين ما كان لـ "فكتور هيجو"[1]؛ و"لامارتين"[2]؛ و"فولتيرا"[3]؛ من دور فعّال في إيقاظ الهمم الفاترة؛ فثارت ضدّ الظلم والإستبداد "[4].

ونجد الموقف ذاته عند "أبي اليقظان" في إشارته إلى الدور المنتظر من الشعراء الجزائريين لمناهضة المستعمر، وذلك بإلهاب الحماسة في قلوب مواطنيهم؛ "فيبيت من الشعر بعثت أمّة من مرقدها؛ فاقتحمت غمار الحروب؛ فأستردت مجدها، وأحيته بعد الإندثار .... "[5].

وكان أغلب الشعراء في هذه الفترة يصدرون في مفهومهم للشعر، عن هذه النظرة التي تولي الجانب الأخلاقي أهمّية في المجتمع، ولا تتصوّره إلاّ في خدمة الوجدان الجماعي للأمّة؛ لأنّ وضع الجزائر كما ذكر "الهادي السنوسي" حين وضع كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" يتطلّب شعراً تحريضياً إصلاحياً، تغلّب عليه النزعة الجماعية، ونهضة اليوم في الشرق تدعو إليه[6].

ومن الطبيعي أن يرتبط الشعر عند هؤلاء الشعراء بالأخلاق؛ لأنّهم ينتمون إلى حركة إصلاحية سلفية من أهمّ مبادئها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، يقول الشيخ "محمّد العيد" : " إنّ المجتمع في تلك الفترة فرض علينا أن نطرق مواضيع معيّنة، ولذا جاءت أشعارنا توجيهية؛ تربوية؛ اجتماعية ... على أنّ الواجب يقتضي من صاحب الموهبة أن يسخرها لفائدة شعبه، لا لفائدته الخاصة "[7].

---

[1] : فيكتور هيجو : شاعر فرنسي من شعراء الرومانسية (1802م/1885م)، انظر : ترجمته : *Grand Larousse Encyclopédique T.5*

[2] : ألفونس دولا مارتين : من شعراء الرومانسية الفرنسية (1790م/1869م) انظر المصدر السابق، *T.6 (Lamartine)*

[3] : فرانسوا فولتير : كاتب ثوري فرنسي (1694م/1778م)، المصدر السابق، *T.10 (Voltaine)*

[4] : محمّد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج02، ص 16.

[5] : أبي اليقظان، ديوان، المصدر السابق، ص 11.

[6] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7] : مقابلة مع الشيخ "محمّد العيد"، الشعب الأسبوعي، ع (1976/10/28)، ص 06.

إنّ انسياق الشعراء الجزائريين الإصلاحيين وراء هذه النظرة، قد يكون استجابةً طبيعية لواقع اجتماعي وسياسي كانوا يعيشونه؛ فقد كانت تلك الظروف تتطلّب منهم أن يسخّروا الشعر في سبيل نهضة البلاد، ويستخدم سلاحاً بيد الشاعر إلى جانب سلاح خطيب في المسجد، والمعلّم في الكتاب والصحفي في الجريدة، ممّا جعلهم يغلبون النظرة إلى المضمون على حساب الشكل، ومثال هذا "محمّد العيد" الذي لا ينظّم الحوادث واليوميات والوفيات، كما كان يفعل "حافظ إبراهيم"، ولكنّه كان يحّس ويفعل ويعيش مأساة الشعب في الجهل والفقر والأمراض والنكبات، ويترجم هذه الأحاسيس والإنفعالات في شعر صادق نظيف؛ فهو لا يمكن لأيّ أحد أن ينقده في إحساسه الوطني وصدقه الشعوري وإيمانه بالشعب والقضايا، وما تعرّضت له الجزائر من استعمار، لم يكتف بتشريد الشعب الجزائري، ونهب خيراته وتجويعه وحرمانه من أبسط حقوقه الإنسانية؛ فهو استعمار شخصية عمل على طمس معالم الشعب الجزائري، وحاول تذويب انتمائه التاريخي والديني واللغوي، ولعلّ هذه الميزة وحدها تكفي لتقرّب "محمّد العيد" إلى قلب الشعب الجزائري ....، بل الشعب العربي، وتجعل شعره واضحاً مفهوماً للجميع.

إنّ الملتفت إلى الناحية الاجتماعية في العشرينات ليجد أنّها مأساة حقيقية، نظراً للظروف المتردية، التي أرهقت الشعب الجزائري، حيث بلغت حالة الجزائر آنذاك، كما يقول "ابن باديس"حدّاً لا يطاق : " كانت الجزائر في تلك الأوقات تعاني الأزمة من أغرب الأزمات؛ فالحقوق معدومة، والمظالم مرهقة، والضرائب فادحة، وانحطاط في الأخلاق تجاه هذه النكبات، وألفة النفوس الخنوع والإنزواء، ومن تكلّم وتحرّك عدّ ثائراً[1] عملاً بمبدأ (فرّق تسد)".

فالمصائب التي بُلي بها الشعب الجزائري من هجرة الجزائريين إلى خارج الوطن نظراً للتأثير هذه الظروف على النفسية العامّة للشعب الجزائري، وكذلك عمليات التبشير التي تركّزت في مناطق معيّنة، وهي محاولة لطمس الدين الإسلامي والتخلّص منه، وهذا ما أكّده كاتب الجنرال "بيجـــو" على أنّ

[1] : وزارة الشؤون الدينية، آثار ابن ابن باديس، ج03، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص 103.

فرنسا تحاول جاهدةً أن يكون للجزائر إله غير المسيح، بتعليم الأطفال الإنجيل حتّى تتمكّن من غرس جذورها والبقاء في أرض الجزائر[1].

فهذه العوامل السياسية والاجتماعية، أعطت نهضة حقيقية أدّت إلى بروز مصلحين من أمثال "محمّد العيد" للّم شمل الشعب، وذلك " بتجميعه وتوجيهه وجهةً واحدة؛ فعمل المصلحون على القضاء على المتاجرة بالعقول، وتقوية الإحساس بالوحدة الوطنية، وبغضّ الإضطهاد "[2].

ولم يكن "محمّد العيد" وحده يبّث أفكاره عن النهضة العربية والإصلاح الديني والاجتماعي؛ فقد التّف حوله جماعةٌ من الأدباء والمصلحين، وأنشؤوا جريدة "صدى الصحراء" سنة 1926م في مدينة بسكرة، وجمعية العلماء التي انضوى تحتها جلّ الشعراء؛ فأخذت الحركة الإصلاحية منذ 1931م تسجّل الانتصار تلو الإنتصار في الميدان الاجتماعي والثقافي، باعتبار الأديب حامل الثقافة كلّ الضحية الأولى للمأساة، يفضح نواياه، ويفسد خططه، وهذا ما يراه "صالح خرفي" من أنّ الشعراء، هم مقياس الإحساس بجراح الأمّة، وهو الإحساس القومي بشعبه[3]؛ فشجّعوا على تأسيس المدارس العربية الحرّة، والنوادي الثقافية للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية[4].

وهذا المجهود كان له الأثر المباشر في دبّ روح الأمل، والتغنّي بالجهود التي أخذت تحقّقها جمعيتهم، وعن هذا التحوّل يقول "محمّد العيد" : " كنّا إلى أمدٍ غير بعيد تنظر إلى هذه الحياة الدنيا في هذه البلاد الجزائرية نظرة الأسف الكاسف ...، أمّا اليوم فقد بدت طلائع النهضة وطوالعها في الجزائر، وتجلّى فيها نور الإصلاح، وأشرق نور العلم، واليوم غير الأمس نستقيل عصراً جديداً ... "[5].

---

[1] : خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 11.

[2] : بن برزوق نصر الدين، الأسلوب في شعر محمّد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1995م/1996م، ص 20.

[3] : خـــرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 17.

[4] : سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، د.ط، دار الغرب الإسلامي، 1900م/1930م، ص 419.

[5] : ناصر محمّد، الشعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنية، ط02، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 1935م/1975م، ص ص 89 و90.

هذا هو الوجه الجديد للحياة الاجتماعية، وقد أكّد هذه الحقيقة "مالك بن نبي" حين عاد من فرنسا، ورؤيته لافتة "نادي الترقي" بالعاصمة؛ فهي بداية الإصلاح الجذري لحال الأمّة، وأيقن أنّ هذا التغيير ستتلوه تغيّرات جذرية[1].

02. التأثير المشرقي في شعر "محمّد العيد آل خليفة" :

يعدّ الشاعر "محمّد العيد آل خليفة" (1904م/1979م) من أبرز رواد الشعر الجزائري في العصر الحديث، وقد تأثّر بشكلٍ ملحوظ بالأدب المشرقي، سواء من حيث الموضوعات أو الأساليب الشعرية، هذا التأثير يظهر جلّياً في عدّة جوانب من شعره :

01. الموضوعـــات والقضايا :

لقد شاطر شعراء الجزائر الشرق في أفراحه وانتصاراته، ويكون في أحزانه وهزائمه، وكانوا دائماً يتجاوبون مع الطليعة المثّقفة من أبناء الشرق العربي؛ فلا يمّر مصاب أليم ولا حادث جليل أو نصر عظيم دون أن يجد صدى في الجزائر ودون أن ينشد فيه الشعراء .. الكتاب .. الخطباء.

ونحن عندما نقّر هذه الحقيقة التاريخية لا يزيد إلاّ أن نثبت أنّ "محمّد العيد" كان أكثر هؤلاء الأدباء اهتماماً بالشرق وما يجري فيه من مآسي وما يُشاد فيه من صروح حتّى لقد تجاوز مرحلة التجاوب العاطفي إلى الدعوة الإنشائية والإحساس بالتبعة؛ فتناول في شعره قضايا تتجاوز الحدود المحلّية لتشمل هموم الأمّة الإسلامية والعربية؛ فكان ينصح باتّباع خطط معيّنة لكي يحقّق هذا الشرق ما يصبو إليه من حرّية وسيادة.

فقد كتب عن أحداث مثل : سقوط الحبشة في يد إيطاليا معبّراً عن تضامنه مع الشعوب المظلومة في المشرق والمغرب في قصيدته "يـــا شرق" يقول :

يـــا شرق خذ حذرك من جيرة *** هاموا بحب الجورمذ هيمنوا.

هذا يعكس اهتمامه بالقضايا المشرقية وتأثّره بالأحداث الجارية في تلك الفترة؛ فها هو ذا يدعو أبناء الشرق إلى أن يعتصموا بالأخوة العربية وإلى الوحدة في العمل؛ لأنّ ذلك هو الطريق إلى نبذ

[1] : ابن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطالب)، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.س، ص 82.

الخلافات التي يعمل الإستعمار على إثارتها بينهم، ويدعو كذلك أبناء الشرق إلى أن يحتكموا إلى الدين نفسه فيما ينتسب بينهم من خلاف طائفي أو مذهبي.

فقد كان يحّس بمدى سيطرة الإستعمار الغربي على الشرق ومدى انخداع الطبقة الحاكمة بوعود الغرب. كما كان يحنّ إلى الشرق، ويودّ لو أتيح له أن يخرج من الأسوار ليشهد موطن الحضارات ومهبط الديانات وكهف العروبة الحصين ...؛ فقد اغتنم فرصة تهنئة صديقه الشيخ "العقبي" بإطلاق سراحه[1]؛ وكان هذا يحنّ إلى العودة إلى الشرق – ليعبّر عن شوقه لرؤية هذا الشرق المسحور :

عنده، مثلك، للصدق هوى *** وله مثلك للشرق حنين.

فيرى أنّ سبب البلاء الذي حلّ بالشرق يرجع إلى سكوته عن الفساد والمفسدين؛ لأنّه لا يتواصى بالحّق ولا يأخذ على يد الظالم؛ فهو يقصد الثورة في الوطن العربي لتطهير الشعب من الأمراض ولمقاومة الإستعمار والفساد؛ فقد قال :

ومن الشـــرق أمّة غلب الصمـ *** ـت عليها فعمّ فيها الفســـــاد

ســـاد فيها الهوى ولو لم تفـــرط *** في التواصي لساد فيها السداد.

هكذا عاش "محمّد العيد" يتغنّى بالشرق وأمجاده وينعى عليه الصمت والخمول، ويدعوه إلى الأخوّة والتعاون؛ فقد شارك في أحزان الشرق يوم فقد الشرق شاعريه الكبيرين "شوقي" و"حـــافظ"، وكيف شارك في أفراح الشرق عندما أحرز ليبيا والسودان على استقلالهما، ويوم نجحت الثّورة الجيش العربي في مصر؛ فالشاعر "محمّد العيد" لم يكن شاعر الجزائر فحسب، بل هو أحد الشعراء العرب البارزين الذين خدموا القضايا العربية ومجّدوا بطولة الأمّة العربية.

إنّ من الأفراح التي عاشها الشرق العربي أعياد الإستقلال والحرّية، ولم يترك "محمّد العيد" هذه المناسبات الوطنية دون أن يسجّلها في شعره، ويخلدها بقلمه؛ فقد كانت الأمّة العربية تعيش في جحيم الإستعمار وتعاني من ألوان التقسيم والبؤس، وحين يتخلّص أحد أجزائها من هذا الجحيم

[1] : سنة 1939م الشاعر زار الشرق أثناء الحجّ سنة 1966م، وكانت زيارة قصيرة، نقلاً عن : أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر "محمّد العيد آل خليفة"، د.ط، دار الرائد للكتاب، د.س، ص ص 198 و199.

ويخرج إلى الدنيا ظافراً منتصراً يجد من الشعراء حناجر تغنّي وقلوباً تحقّق، ومن هؤلاء الشعراء "محمّد العيد" كان إحساسه بمعنى الإستقلال أعمق من إحساس الشعراء الآخرين.

فإذا كانت جميع البلاد العربية قد تعرّضت لقسوة الإحتلال؛ فإنّ الجزائر قد تعرّضت لقسوة أكثر ألماً وحدّة، ومن هنا كان شوق الشاعر إلى الحرّية والإستقلال، ونبض قلبه لكل شعب يتحرّر أو يثور؛ فحين حصل الشعب العربي في السودان على استقلاله، كانت الجزائر من أوائل المهنّئين، وكان أدباؤها وشعراؤها في مقدّمة من أنشدوا وفرحوا، وقد نشر "محمّد العيد" قصيدته "استقلال السودان" بهذه المناسبة مهنّئاً الشعب السوداني، وهنّأ الشرق كلّه بهذه الإستقلال، وقال : إنّ العـــروبة تهتف فرحة بهذا النصر المؤزر

وأنّ النيل يجري مصفّقاً نشوان ابتهاجاً بهذا العيد العربي الكبير :

فوز سرت بحـديثه الركبـــان *** فالشرق مغتبط به جذلان

والنيل يجري صاخباً ومصفّقاً *** طرباً فترقص حوله الشطآن

وبنوا العروبة يهتفـون لمركب *** في النيل أبحر ركبه العربـان

ما أسعد السودان باستقـلاله *** فاليوم يرفع رأسه السـودان.

وبمثل هذا المشاعر الصادقة، استقبل "محمّد العيد" فرحة الشعب باستقلاله؛ فاكتفى بتسجيل عواطفه وإبداء فرحته وتهنئته بانتصاره وسرّ جهاده. ونذكر أيضاً أنّ الشاعر "محمّد العيد" غمره الفرح حين عيّنت الحكومة المصرية السيد : " محمّد لخضر حسين" شيخاً للأزهر، إذا اعتبر الشاعر هذا التعيين فرصةً للتعبير عن عواطفه نحو الثورة ورجالها الأحرار وأعمالها المجيدة؛ فـ "محمّد العيد" كان شاعراً يعبّر عن وجدان الشعب الجزائري ونبضاته ويسجّل في شعره كلّ هذه المناسبات المفرحة والمحزنة، ويبعث إلى كلّ عربي بإحساسات الأشقّاء، ومشاعر الأخوّة والحّب؛ فحين فقد الشرق شاعريه "حافظ" و"شوقي" بكت الجزائر وأقامت المآتم ووقف الشعراء يندبون حظّ الشعر، ويعزّون الشرق الحنين، ووقف الشاعر "محمّد العيد" يقول قصيدته التي أسماها "ذكرى الشاعرين" [1]:

دولة الشعر من الشرق انقضت *** وانقضى فيها مراء الأمراء

[1] : أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة، د.ط، دار الرائد للكتاب، د.ب، د.ت، ص ص 202 و203.

ولواء الضاد في الشرق انحنى *** فانحنى الشرق على ذاك اللواء.

وقال أحد تلاميذه : "أنّ "محمّد العيد" قد أعدّ قصيدة عن "حافظ إبراهيم" لتلقى في خصله التأبين التي كان يسقيهما بشمال إفريقيا، لكن انشغاله بالتعليم خالٍ دون حضوره ".

إنّ الجزائر قد شاركت الشرق العربي في هذه المحنة، وطالما تغنّت بأشعار "حافظ"، حيث تداولها الأطفال في المدارس، والقرّاء من الجرائد والمحلاّت، لكن ليس بالمشاعر التي صوّرها الشاعر، بل بالحزن المكتوم والوفاء الصادق، وفي سنة 1951م الشعب المصري أعلن إلغاء معاهدة 1936م، وقد هزّ هذا الحدث الكبير الأوساط الجزائري الشعبية والمثقّفة، وبالرغم من القيود الكثيرة على الصحافة وحرّية الاجتماع؛ فإنّ الشعب الجزائري كان بجميع طبقاته يشارك مصر ثورتها على العدّو المحتّل.

وفي هذه المناسبة أصدرت "البصائر" عدداً ممتازاً خاصّاً بمصر وجهادها وصلاتها بالجزائر، وقد اشترك الشاعر بقصيدة طويلة عنوانها "حيّ على الجهاد يا مصر"، ولقد أنى للشعب الجزائري.

ومن أهّم المصادر التي اعتمد عليها شعراء هذا الإتّجاه لبناء صورهم الشعرية، الأدب العربي القديم بمفهومه الواسع، شعراً وأمثالاً وقصصاً، وكان طبيعياً أن يكون هذا المصدر من أقوى الروافد التي صبّت في ثقافتهم الشعرية.

01. التعلّق بالأدب العـــــربي القديم :

يعتبر الأدب العربي القديم من أغرز الروافد التي صبّت في الشعر الجزائري الحديث؛ فساعدته على الثرّاء والنّماء، وطبعته بالتالي بطابع القوّة والجزالة، وأشاعت في تصافيعه التغيير المستمّدة من الأدب القديم، وهو ما جعل التعبير الشعير عند أغلب الشعراء تعبيراً يعتمد على الجمل الجاهزة والصورة المستمّدة من الذاكرة، ممّا كان له أثر سلبي في عرقلة التطوّر الفنّي لدى شعراء الاتّجاه التقليدي الذي لم يخضع لاستخدام لغة معاصرة؛ فإذا لا حظنا الشعر "محمّد العيد"، نجد كثرة ورود الإشارات الأدبية يبني بها صوره الشعرية، يستغّل "محمّد العيد" بيت جرير الذي قاله في هجاء "الفرزدق" متهكّماً.

وزعم "الفرزق" أن ... "مربّعاً" *** أبشر بطول سلامة يا "مربّع"[1].

في صـورة يـتهكّم فيهـا "العيـد" بوعيـد المسـتعمرين الفرنسـيين، وضـجّة تهديـدهم للعلمـاء الإصلاحيين؛ فيكون صورةً إشارية في قوله :

... وبشر أخاً يخشى الوعيد بما به *** علمنا جريراً قبل بشر مربّعاً[2].

وقـد تكـون الصـورة واردة في إحـدى القصـائد العربيـة المشـهورة، ولا يجـد الشـاعر خرجـاً في استغلالها في مثل قوله وهو يخاطب فلسطين :

فلسطين العزيزة لا تخـــافي *** فإنّ العرب هبّوا للدفـــاع

بجيش مظلم كالليل غطّى *** حيالك كلّ سهل أو بقاع

وما أسيافه إلاّ نجـــوم *** رجوم لليهـود بلا نـــــزاع[3].

إنّ هذه الصورة التقليدية التي تحدّثنا عن السيوف في معارك الآليات المدمّرة، والصواريخ البعيدة المـدى اسـتمداداً مـن صـور قصـائد "المتنّبي"؛ و"بشـار بـن البـرد"، ونحسـب أنّ الـذي دفـع الشـعراء الإصلاحيين إلى تسرّب الأدب القديم والعناية به حفظاً وتذوّقاً وتقليداً أسبابان أساسيان :

أولّهما؛ عناية الحركة الإصلاحية بالتّراث، وهي أساساً ترتبط بالنزعة السلفية الاجتماعية التي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتّراث، تحفظه للناشئين في مدارسها، وتوجّههم إلى أن يستقوا من منابعه الصافية؛ فقد كان رجال الإصلاح يقصدون إلى أن تكون النهضة الأدبية في الجزائر مبنية عل أسس التّراث العربي القديم، ويعتبرون هذا التراث رافداً قوّياً يرفد اللّغة العربية المضطهدة في الجزائر؛ فهم يرون " بأنّه لا يمكن للغة العربية أن ترقى في ألسنة أبنائها ما لم تستمّد رقيها من روائع فحول الأدب العربي القديم، من أمثال : "عبد الحميد كاتب"؛ و"ابن العميد"؛ و"الجاحظ"؛ و"الحريري"؛ و"البحتري"؛ و"أبي تمام"؛ و"المتنّبي" ... "[4].

---

[1] : ابن جرير، ديوان، تح : محمّد إسماعيل الصاوي، د.ط، دار الأندلس، بيروت، د.ت، د.ص.

[2] : محمّد العيـد آل خليفة، ديـوان، المصدر السابق، ص 188.

[3] : المصدر نفسه، ص 335.

[4] : محمّد الهادي السنوسي الجزائري، شعراء الجزائر في العـصر الحاضر، ج01، د.ط، المطبعة التونسـية، تونس، 1926م، ص 128.

ثانيهما؛ إنّ انتماء أصحاب هذه الحركة إلى الثقافة العربية وحدها، دون التفتّح على الآداب الأجنبية، جعلهم يقصرون أنظارهم على الأدب العربي؛ فجاء إنتاجهم متأثّراً إلى أبعد خدّ بالمصدر الذي كانوا يستقون منه؛ فمن المعروف أنّ أغلب الشعراء في عهد الإصلاح، كانوا قد تخرّجوا من جامع الزيتونة ولم يسعفهم الحظّ في أن يضيفوا إلى ثقافتهم العربية ثقافةً أجنبية أخرى، بل إنّ بعض الشعراء كان يرفض الإحتكاك بالثقافة الفرنسية؛ "لأنّ فرنسا في نظر نقاد المغرب العربي وأدباؤه التقليديين دول استعمارية، وهذا ما يفسّر قيام بعض هؤلاء بردود فعل قوّية ضدّ ما أسموه "إحتكاك اللّغة العربية باللّغة الأجنبية" "[1].

إنّ الحماسة للشعر العربي القديم وإحلاله من النهضة الأدبية مكانةً مرموقة، جعلت رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر "ابن باديس" يهاجم ما جاء في كتاب "الخيال الشعري عند العرب" للشابي، ممّا رآه "ابن باديس" استنقاصاً من حقّ هذا الأدب، وكان موقفه صارماً في دفاعه عن الأدب العربي القديم، حيث يقول : " الشعر العربي هو أصل ثروتنا الأدبية، وأصل بلاغتنا، ومرجع شعرائنا في اللّغة والبلاغة، والأساليب العربية؛ فدرسه والإستفادة منه، أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين، فكيف نبني دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهيد فيه ... "[2].

وكان كثيراً ما يوجّه الأدباء المبتدئين إلى دراسة المصادر التي كانت تعرف بـ : "الأمّهـــات" في الأدب من أمثال : "الأغاني" و"العقد الفريد" لـ : "ابن عبد ربّه الأندلسي"، طالباً منهم أن يعيدوا مطالعتها المرّة بعد المرّة ..." [3].

على أنّ الشعراء الجزائريين أنفسهم كانوا متحمسين لهذا الاتّجاه اعتقاداً منهم بأنّه : "لا رقي إلاّ برقي اللّغة العربية "[4]؛ وأنّه لابّد من التمسّك الشديدة بأصول هذه اللّغة؛ فإنّ النهضة لا يمكن أن تكون بدون اللّغة والدّين"[5].

---

[1] : إبـــراهيم بن نوح، امتياز النجاح، ع : 1902، (1217م/1930م)، ينظر : مصايف محمد، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ب، 1979م، ص 25.

[2] : ملفوف صالح الدين، المرجع السابق، ص ص 81 و82.

[3] : محمّد الهادي السنوسي الجزائري، المرجع السابق، ص 128.

[4] : رمضان محمود، بذور الحياة، د.ط، د.د.ن، تونس، 1928م، ص 43.

[5] : أبـــي اليقظان، ديـــوان، د.ط، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص 14.

ووفاقاً لهذه القناعة الذّاتية، والإيمان العميق بدور اللّغة العربية، راح الأدباء يعنون بالأدب العربي القديم، يدرسونه في مدارسهم، ويختارون منه لمحفوظاتهم، وينسحبون على منواله في إنتاجهم، بل إنّ الدعوة عند بعضهم لم تقتصر على احتذاء النماذج الشعرية عند الفحول، وإنّما أصبح الأدب العربي بفروعه المتنوّعة وعلومه المتعدّدة، نحواً وعروضاً، وبلاغةً وتاريخاً وأنساباً ووقائع وأمثالاً معلومات ضرورية لكلّ من يريد نظم الشعر والإحادة فيه؛ لأنّ الإحادة ترتبط في مفهومهم بالإطّلاع على هذه العلوم كلّها، وهي التي تعطي الشاعر "الملكة التامّة ولم نر من زعماء الإصلاح من كان شديداً لتأكيد على هذا الجانب، مثل : "البشير الإبراهيمي"؛ فقد كان كثير النصح للأدباء الشباب " أن يدمنوا القراءة لآثار فحول الكتاب من قدماء ومحدثين، وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها بالتدريج، وأن يتكثروا بحفظ اللّغة الأدبية، ويتبصّروا مواقع استعمالها في التركيب ... " "[1].

وهو ينتقد الأدباء الذين لا يطالعون، أمثال : كتاب "الأغاني" ولا يستوعبونه، حتّى لا يغترّوا بما تمدّهم به الكتب المدرسية من زاد قليل؛ فإنّ ذلك لا يربّي ملكة ولا يصقل ذهناً، ولا يكوّن أدباً"[2].

أكّد "الإبراهيمي" على توجيه الشعراء إلى الإستفادة من الأدب القديم لا يقف بهم إلى حدّ القرّاء والإطّلاع، وإنّما يتجاوز ذلك إلى محاكاة شعر الفحول؛ ففي معرض مؤاخذاته أحد الشّعراء على ضعفه في التعبير يقول : " ... ولكنّه كغالب قالة الشعر بهذه الدّيار، ينقصه استعراض البلغاء وتحدّيها، وتمرين القريحة على محاكاتها، وتيقّظه الذهني إلى أسرار فقه اللّغة، ومواضيع فحصها، ومجاتبة الرخص النحوية، وتحكيم استعمالات الفصحاء في القواعد النظرية، وعسى أن تكون كلمتنا هذه حافزة لهممهم .... "[3].

وعندما تولّى "البشير الإبراهيمي" رئاسة تحرير "البصائر" سار بها في هذا المنهج الذي يولي البيان العربي أهمّية عظيمة، وبيّن هذا المنهج في الأعداد الأولى من الجريدة، حيث خاطب الكتاب

[1] : جريدة البصـــائر، ع : 26 (1949/07/11م).
[2] : جريدة البصـــائر، ع : 143.
[3] : محمّد مصايف، المرجع السابق، ص ص 58 و59.

بقوله : " اعلموا أنّ جريدتكم مدرسة؛ فاجعلوا من الكتابة فيها وسيلة لترقية ملكاتكم الكتابية، وأنّ جريدتكم مظهر للبيان العربي؛ فلا تنزلوا دون منزلتها ... "[1].

ولم يقتصر هذا التوجيه على شيوخ الحركة الإصلاحية وحدهم، بل إنّنا نجد من بين شعرائها أيضاً من كان يوجّه الأدباء الناشئين إلى الأدب القديم مفضّلاً إيّاه على الأدب الجديد؛ فهذا "محمّد العيد آل خليفة" يوجّه، "عثمان بلحاج"؛ و"محمّد الأخضر السائحي"، حيث ينصحهما بقوله :

إنّي أرى الأدب الجديد ... *** حللا ترف بحسنها وبروداً

فتعهّدا الأدب القديم فإنّه *** أحلى محاورة وأصلب عوداً.

[1] : الإفتتـــاحية، البصائر، ع : 02، (1947/08/02م).

02. التأثـــّر بمدرسة الإحياء العـــــربية :

من العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار أدب مدرسة الإحياء في الجزائر، اتّجاه الحركة الإصلاحية، وموقفها السلفي الواضح من قضايا الفكر والثقافة؛ فما كان إعجاب الحركة الإصلاحية بأدباء النهضة العربية وشعرائها يتوقّف عند حدود القراءة، والمتابعة، ولكنّه تجاوزها إلى التقليد؛ فكان المدرّسون يحفظون قصائد "شوقي"؛ و"حافظ"؛ و"الرصافي"، ويحفظونها لتلامذتهم، ويعطونهم أبياتاً منها يطلبون منهم تشطيرها أو تحسيسها أو معارضتها، ويعقدون لهذا منافسات يرصدون لها جوائز تشجيعية.

وهذا "محمّد الهادي السنوسي الزاهري" أحد شعراء تلك الفترة يعبّر عن المكانة المرموقة التي كان هذا الأدب يحتلّها في نفوس الأدباء الجزائريين، ويعترف بفضل الشعراء المشارقة ومزيّتهم في تنشأة الشعر الجزائري الحديث، وتكوينه، يقول : " من هنا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى الأولى (14-18) على ما ظلّت تنتجه مدرسة "اسماعيل صبري"؛ و"حافظ"؛ و"شوقي"؛ و"طه حسين"؛ و"العقاد"؛ و"أحمد أمين"؛ و"المنفلوطي"؛ و"الزيات"؛ وغيرهم من رجال .. الثاني للنهضة الأدبية في الأقطار العربية ..." [1].

كان أساتذتنا لا يفتؤون يتخيّرون لنا من منظومهم، ومشورهم ما يؤثّروننا به لتثقيف عقولنا، وإصلاح ألسنتنا وتبصيرنا بما تجود به المدرسة الحديثة في عالم العرب، وكان النتاج الفكري لهؤلاء يعمل في الطلبة هنا أكثر ممّا تعمل فيهم مدارسهم التي ينتمون إليها، على اختلافها؛ فكوّنت بينهم إنسجاماً، ونفخت فيهم روحاً [2].

وتجدر الملاحظة هنا بأنّ ذكر "السنوسي" لكلّ من "العقاد"؛ و"طه حسين"، إنّما جاء على لسانه؛ لأنّ هذين الكاتبين يعدّان من مشاهير الكتّاب المعروفين بإنتاجهما الغزير ..، ولا يدّل إطلاقاً على انتشار مذهبهما التجديدي في الأوساط الأدبية الجزائرية، وذلك لأنّه عندما كانت مدرسة "الديوان" تثير معاركها القلمية ضدّ مدرسة الإحياء، وعلى "شوقي" بصفةٍ خاصّة، وعندما كانت

[1] : الرعيل الأوّل، أمثال : رشيد رضا وعبد العزيز .. واضطاوي جوهري، وعلي يوسف.

[2] : هنا الجزائر، ع : 05، (1954/07/27م)، ص 04.

المناقشات حامية الوطيس بين "طه حسين"؛ و"الرافعي"، كان الأدباء الجزائريّون يظاهرون مدرسة الإحياء ولا يظاهرون مدرسة الديوان، ويقفون إلى جانب "الرافعي" ضدّ "طه حسين"، بل إنّ الأوساط الأدبية في الجزائر كانت في هذه الفترة بالذّات مبهورة الأنفاس، وهي تتابع بشغف كبير وإعجاب لا نظير له إنتاج "حافظ" و"شوقي"، وكانت تحلّهما محلّة الزعماء والمصلحين من أمثال : "محمّد عبده"؛ و"رشيد رضا"؛ و"سعد زغلول"؛ و"مصطفى كامل"، وقد تجاوزت هذه الصلة الوثيقة حدود المتابعة والإعجاب إلى إعتناق الطريقة، وتقليد الأسلوب؛ فلا نكاد نجد شاعراً واحداً في العشرينيات والثلاثينيات إلاّ وهو يقّر بفضل "شوقي"؛ و"حافظ"؛ و"الرصافي" عليه، ويعترف بتتلمذه لهم[1]؛ بل إنّ التلقّي عن مدرسة الإحياء، كان من نصيب المتطرّفين في التقليد والداعيين إلى التجديد.

فإنّ بعض الشعراء قبل الحرب العالمية الأولى كانوا "إذا اختطفت المنية شيخاً من بين تلاميذه قلّد كلّ واحد منهم .. "حافظ إبراهيم"[2]؛ وحتّى "رمضان حمّود" الذي يعتبر رائد الدعوة إلى التجديد في الشعر الجزائري الحديث، وهو الوحيد الذي تفطّن إلى مآخذ شعر "شوقي"؛ فأوضحها، وبيّن نقاط الضعف في شعره وانتقدها لم يستطع أن ينكر بأنّه تلميذ لمدرسة "شوقي"؛ و"حافظ"؛ و"الرصافي"؛ و"مطران" "[3].

وعندما راح الوطن العربي يعقد المهرجانات الأدبية لتكريم "شوقي"، ويضع تاج إمارة الشعر على رأسه، اهتمّت الأوساط الأدبية في الجزائر، بهذا الحدث واعتبرته حدثاً تاريخياً، والتفت إليه المصلحون لفتة خاصّة، ودعا "ابن باديس" الكتّاب والشّعراء الجزائريين ليشاركوا في تكريم "شاعر العرب" بأن يرسلوا بما تجود به قرائحهم في هذا الموضوع، ليتلى في خصلة ستقيمها "الشهاب" بإدارتها "ثمّ تجمع تلك الرسائل والقصائد وتطبع في كتاب يبقى تذكاراً لهذا الإحتفال ... "[4].

يوم أن انتقل "شوقي" إلى رحمة الله، استقبلت الأوساط الأدبية هذا النبأ بهلع شديد، وحزن عميق، واعتبرت فقدانه كارثة عظمى، وخسارة لا تعوّض؛ فبموته انهدّ ركن عظيم من أركان العروبة

[1] : محمّد الهادي السنوسي الجزائري، المرجع السابق، ص ص 140 و171 و178.

[2] : سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر، مجلّة كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع : 01، (1964م)، ص 59.

[3] : محمّد الهادي السنوسي الجزائري، المرجع السابق، ص 171.

[4] : جريدة الشـــهاب، ع : 81، (1927/01/27م).

والإسلام، وعن هذا الحدث كتبت "الشهاب"، تقول : "مات شاعر الإسلام الذي كان يعتّز بمفاخرة، ويشدو بمآثره، وينطق بلسانه ... مات شاعر العربية الذي تشرب روحها، وتملّكت هي روحه؛ فحمى أسلوبها فحمل لواءها خفاقاً في الآفاق، كما توّج على شعرائها في الأقطار باستحقاق ... مات شاعر الشرق الذي كان يهتّز قلبه لهزّاتهن وتضطرب حياته لاضطراباته ...؛ فيدوي صوته حتّى لتتحرّك منه جبال ... وتسري كهرباؤه حتّى لترتبط بعد الشّتات أوصال ... "[1].

أمّا جريدة "داودي ميزاب"؛ فقالت : حسين بوزيان

... إذا ما بكينا "شوقي"؛ فإنّنا نبكي شاعرية من معجزات هذا العصر نبكي شعراً فياضاً، نبكي عاطفةً إسلامية ....، نبكي غيرة وطنية، نبكي روحاً أنعشت لغة الضّاد؛ فبعثت فيها حياةً جديدة.

ذلك هو الإحساس العميق الذي كان الجزائريّون يحملونه لـ : "شوقي"، وتلك هي العواطف النبيلة التي كانت تربطهم بأدبه؛ فتجعلهم يؤثّرون خطاه، ويتبعون سمته، إنّها دوافع ممتزجة من القومية، والدين، ولحمة شديدة نسجتها يد الإسلام، واللّغة العربية والمصير المشترك، وفي خضم هذه المشاعر مكانةً "حافظ إبراهيم" لدى الأدباء الجزائريين لم تكن تقل مكانة "شوقي" لديهم واهتمامهم بـ "حافظ" حيّاً أو ميّتاً، لم يختلف عن اهتمامهم بـ : "شوقي"؛ فهو وإن لم يحظى بحفلة تكريم في حياته، فقد أقاموا لهذا الغرض "نادي الترقي"[2]، وفاته، وعقدوا له حفلةً أخرى بتونس، اشترك فيها شعراء من الجزائر وتونس، وطرابلس، وكان من أبرز ما كتب عن هذه المناسبة قصيدة لـ : "محمّد العيد آل خليفة" الذي كان شديد الإعجاب بشاعرية "حافظ"، وتبيّن من خلال قصيدته تلك مدى التفجّع الشديد الذي تركه موت "حافظ" في نفسه :

قم عزّ مصر، وعزّ الشرق أقطـــاراً *** ففحل مصر خبا كالنجم وأنهارا

خطب جرى في ضفاف النيل زلزلة *** وثار ملء جواء الشرق إعصاراً.

[1] : جريدة الشهاب، ع : 11، م08 (نوفمبر 1932م)، ص 605، والنص هو لـ : "ابن باديس".

[2] : نادي الترقي : هو منبر الحركة الإصلاحية بالعاصمة، رابط به الشيخ الطيب العقبي منذ 1929م أقيم حفل بهذه المناسبة في : 1933/02/22م بنادي الترقي في جريدة "الجناة"، حفلة خالدة لذكرى النجمين.

إلى أن يقول موضّحاً الأسباب التي جعلته يعتبر موت "حافظ" زلزلة وإعصار هزّت الوطن العربي كلّه :

يـــا راحلاً ونـــــوادي الشـــرق تبديه *** ولهى، وترفعه كالشـــرق مقـــداراً

... عزاء مصر عزاء الشرق في فلك *** سلس القريض فما استخذى ولا جارا

أقام قـــائمة الدنيا وأقعـــــدها *** ودام فيهـــا عشيـــات وأبكـــارا

وفي الجـــــزائر من وجد بمـــــأتمه *** هـــول عليه طغى كالمـــوج تبـــارا

وابن الجـــــزائر بابن الشـرق مرتبط *** وإن أحاطت به الأشـــواك أسـوارا[1].

وأصبح إحياء ذكر الشاعرين تقليداً أدبياً، وامتدّت العناية بهما طوال الثلاثينيات والأربعينيات؛ فنجد أحد الكتّاب في سنة 1950م يخصّص لذكرى وفاة "شوقي" مقالاً مطولاً بلغ إحدى عشر حلقة تنويهاً بهذا الشاعر الذي .. علم الشاعر الخافق بعده، وتهدم بنيانه الشامخ، وانطفأ كوكب الشرق، وانكسرت القيثارة التي ملأت الدنيا شجى ... "[2].

ويحي بعض الشعراء ذكرى "شوقي وحافظ" بعد عشرين سنة من وفاتهما، وتشيّد مجلّة "هنـــا الجزائر" المعروفة بنزعتها التجديدية، وميلها إلى الشعر الرومانسي بذكراهما تخليداً الهذين الشاعرين اللّذين "حملا صولجان الشعر وحدهما دهراً طويلاً "[3]؛ ذلك لأنّ هذه الذكرى لم تعد في مفهوم الأدباء الجزائريين تأبيناً يُقام لـ : "حافظ" أو لـ : "شوقي"، وإنّما هي إحياء لذكرى معاني تتّصل بالعواطف القومية، وتستلهم أمجاد العروبة وروحانية الإسلام[4].

وإذا تركنا هذه المظاهر القومية العامّة التي تلتقي عندها مشاعر القومية والدين لم يعينا العثور على مظاهر فردية تتجلّى فيها سمات التأثّر الأدبي، والتقليد الشعري برواد في مدرسة الإحياء تتجلّى لنا حينا، في هذه الرغبة التي نلمسها عند الكثير من الشعراء في تخميس أو تشطير أو معارضة هذه القصيدة أو تلك، وتتجسّم حيناً آخر في اقتباس الأبيات والأشطر وفي تضمين معانيها وأفكارها؛

[1] : جريدة الشهـــاب، ج10، م 05، 08 أكتوبر 1932م.

[2] : محمّد بن ددّوش التلمساني، الصريح (التونسية)، انظر الأعداد : 42؛ 53 (1949/11/19م).

[3] : جلول البدوي وحافظ وشوقي، هنا الجزائر، ع : 09، جانفي 1953م، ص ص 10 و11.

[4] : جريدة الشهـــاب، ج04، م10، (مـــارس 1934م).

فكان شعر "شوقي" عند "ابن باديس" النموذج الطي يضعه لطلاّبه، ويطلب منهم النظم على منواله شكلاً ومضموناً، كما جاء ذلك على لسان أحد تلامذته وهو "محمّد الهادي السنوسي الزاهري"، حيث يقول : " وكان الشيخ "ابن باديس" يختار لطلاّبه نماذج من شعر "شوقي" غالباً، ويطلب منهم الكتابة على منواله "فلسفة وعربية" .... "[1].

وقد يتّخذ هذا الإعجاب صوراً؛ فيتحوّل إلى نزاع بين المتعصّبين لـ "شوقي"، والمتعصّبين لـ "حافظ"[2]، ولكنّهما في النهاية، عند الأغلب الأعّم يمثّلان كلامهما قمّة البراعة، على أنّ الإعجاب هذا شعراء مدرسة الإحياء لم يتميّز به شعراء عهد الإصلاح وحدهم، بل إنّنا نجد من بين المعجبين شباباً ظهروا على المسرح الشعري بعد الحرب العالمية الثانية، وتأثّروا في اتّجاههم بمدرسة المهجر، وجماعة "أبولو" كـ "محمّد الأخضر السبائخي"، معجب أيما إعجاب بـ "البارودي" الذي لم يعتبره رائداً للشعر العربي في العصر الحديث، بل ذهب إلى أنّ "البارودي" يمتاز بمميّزات تفرّد بها وحده "في الشعر الإسلامي كلّه "، وهي "الملكة الشعرية الرصينة البالغة : والإجادة اللّغوية، والبيان العربي الجميل"[3].

والحّق أنّ الأدباء الجزائريين في إعجابهم القوّي هذا بشعراء الإحياء عامّةً، وبـ" شوقي" خاصّةً لم يكونوا بدعاً من الشعراء أو الأدباء في الوطن العربي؛ فقد كان هؤلاء أيضاً يتلقّفون شعر "شوقي"؛ و"حافظ"؛ و"الرصافي" لكون هذا الشعر يعالج في مضامينه واقعهم، ويلمس أذواقهم، ويثير مشاعر العروبة والإسلام فيهم.

على أنّ ما نسمّيه اليوم شعراً تقليدياً أو محافظاً كانوا هم يطلقون عليه شعراً عصرياً؛ فقد كان هذا الشعر بالنسبة لزمانهم؛ وظروفهم؛ وبيئتهم؛ وثقافتهم شعراً جديداً، إذا ما قيس بشعر ما قبل الحرب العالمية الأولى.

[1] : محمّد الهادي السنوسي الزاهري، المرجع السابق، ص 97.

[2] : جريدة البصـــائر، ع : 297، (1954/12/17م).

[3] : محمّد الأخضر السائحي، البارودي في العصر الحديث، هنا الجزائر، ع : 127، أوت 1954م، ص ...

لهذه الأسباب مجتمعة، بات هذا الشعر يمثّل عنصر الإحياء عند الأدباء الجزائريين، وأصبح القبلة التي تنشد أنظارهم، والنموذج الذي يستلهمون منه أشعارهم، ثمّ إنّ الحركة الإصلاحية كانت من الأساليب الكبرى في توجيه الأدباء إلى هذه الوجهة على النحو الذي ذكرناه سابقاً؛ لأنّها لم تكن تتلّقف كلّ ما يأتيها من الشرق دون اختيار، وإنّما كانت تقف موقف الحيطة والحذر من المدارس الحديثة والتيّارات التجديدية، بينما كانت تتابع وتؤازر الإتّجاهات الأدبية المحافظة الرصينة، وتوجّه الشباب بالتالي إليها اختيار مبني على فكرة الحركة الإصلاحية، واختياراتها الأساسية؛ فهي تربط قضايا الفكر والثقافة، والأدب بالدّين الإسلامي دوماً، ومن هنا نفهم تلك المواقف التي طالما وقفتها من حركات التجديد في المشرق العربي، وكيف كان رجال الإصلاح ينتصرون للمواقف ذات الطابع المحافظ، وكيف كانوا يقبلون على قراءة إنتاج من عرف بهذه النزعة، وإذا كانت البراعة الأدبية والأصالة الفنّية هما اللّتان كانت تجتذبان ألباب بعض الأدباء الجزائريين؛ فيقبلون على قراءة إنتاج "أحمد حسن الزيات"؛ و"منصور فهمي"؛ و"الرافعي"؛ و"طه حسين"؛ و"توفيق الحكيم"؛ و"العقاد"؛ و"هيكل"؛ و"زكي مبارك"؛ إلاّ أنّ الأكثرية إلى "الرّافعي" أصيل؛ فهؤلاء بحثوا في القديم بجديد الغرب، وفي الحديث بقديم الشرق ..." [1].

وقد مال أغلب الأدباء الجزائريين إلى "الرافعي"، بل إنّ "ابن باديس"؛ و"الزاهري" كانوا يهاجمون "طه حسين" معتبرينه من المارقين والملحدين[2]؛ بينما "الرافعي" كان له في الجزائر تلامذة تخرّجوا من مدرسته، ومريدوه طالما انتصروه والأفكاره، ويوضّح لنا مريدة علّة هذا الإعجاب الشديد قائلاً : "أحببته لأنّه سما ... الذي يمت إلينا، وانتزعه من بين المؤثّرات التي تشينه، وتغيّر من طابعه الشرقي الإسلامي، وحتّى تراثنا الفكري من أنّ تتسلّط عليه أذهان هذا العصر الملفّحة، التي ما تزال تحاول أن تسطو عليه "[3].

---

[1] : محمّد الهادي السنوسي، هنا الجزائر، ع : 27، (جويلية) 1954م، ص 03.

[2] : جريدة الشهاب، الأعداد ج08، م05 إلى ج12، م05 أيضاً وادي ميزاب ع : 119 (1929/02/01م) أيضاً محمّد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، د.ط، د.د.ن، دمشق 1931م، ص 26؛ أيضاً الزاهري وطه حسين وشعوبي ماكر، الصراط، ع : 04، (1933/10/09م).

[3] : المقال بإمضاء الرافعي بمناسبة ذكراه الأولى، الشهاب، ج07، م 14 (سبتمبر 1938م)، ص 58.

لهذا كان "الرافعي" في اعتبار الشباب الجزائري ولاسيّما الإصلاحي منه "إماماً من أكبر من عرفنا من أئمة الأدب في القرون المتأخرّة "[1].

ولعلّنا لا نستطيع أن ندرك تمام الإدراك أسباب هذا التشبّث القوّي بالتّراث، إلاّ إذا أدركنا ما كان يتعرّض له هذا التّراث من محاولات المسخ والتشويه من طرف المستعمر الفرنسي، وقد كشف أحد تلامذة "الرافعي" عن هذا الهدف وهو يوضّح أسباب تعلّق الجزائريين بـ "الرافعي"، حين ذهب إلى أنّ المزاج الديني في الجزائر وشخصية الجزائر العلمية تجعلانها يؤثّر "الرافعي" لأصالة أدبه؛ ولأنّ الجزائر وهي تحت الإحتلال الفرنسي "مفتقرة إلى جيش من البلغاء يرابطون تحت راية القرآن" كـ "الرافعي" ليغرسوا معانيه في النفوس، وينعشوا العربية التي يصرّ الإستعمار على قتلها في الجزائر ..." [2].

غير أنّ الإنتصار القوّي للأدب التقليدي والتشبّث بالتراث في الشعر الجزائري لم يشجّع تطوّر الأدب حسب منظور التيّارات الأدبية الحديثة .. ، ولم يهيّأ لها المناخ الذي يترعرع فيه؛ لأنّ الأدب الجزائري، كما أشارت إلى هذا، قد عرف في هذه الفترة .. أدباء ونقاداً، وشعراء راحوا يدعون إلى التجديد، ومسايرة الحركة الأدبية في المشرق العربي والمهجر، ولكن صوتهم ظلّ ضعيفاً خافتاً.

وخلاصة القول؛ أنّه كان وراء هذا الإتّجاه المحافظ – رغم سلبياته التي لا تُخفى – هدف سياسي، .. قومي وما كان لحركة سلفية قوامها اللّغة العربية؛ والدين الإسلامي، وهدفها الأوّل هو بعثها والحفاظ عليهما في الجزائر المستعمرة؛ فمكانة اللّغة العربية من أهلها ليست كمكانة غيرها من اللّغات من أصحابها؛ لأنّ اللّغة العربية لغةً دينية قبل كلّ شيء؛ ففي الحفاظ عليها حفاظ على الدين نفسه، وتدّل النصوص النقدية – بأنّ الشعراء الجزائريين والإصلاحيين بصفةٍ خاصّة، كانوا يعيشون فترة إحياء حقيقية، وهي إحياء تراث الأدب العربي إحياءاً كاملاً، ولم يكن ذلك هو موقف الشعراء الإصلاحيين وحدهم، وإنّما هو موقف عرفه النّقد في المغرب العربي كلّه[3]؛ وبالعودة إلى مقالة نشرها

[1] : عبد المجيد حيرش، الرافعي، الشهاب، ج05، م13 (جوليت 1937م)، ص 248.
[2] : محمّد علي دبوز، مجلّة البصائر، ع : 366، (1955/10/02م)، د.ب، د.س، ص ..
[3] : محمّد مصـــايف، المرجع السابق، ص 29.

"أحمد الأكحل" في جريدة "النجاح"[1]؛ وإلى المقدّمة التي قدّم بها "أبو اليقظان" ديوانه[2]؛ وإلى آراء "محمّد السعيد الزاهري"[3]؛ و"محمّد الهادي السنوسي"[4]؛ و"الطرابلسي"[5]؛ نتأكّد من قناعة شعراء الحركة الإصلاحية بتعريف النقاد العرب القدامى للشعر وتحديدهم له، وتأثّرهم بهذا التعريف؛ وبالتالي صدورهم عنه في أعمالهم الشعرية.

ومن ثمّ فإنّ ما ساقه "أحمد الأكحل" من تعريفات للشعر بأنّه كلام موزون مقفّى، سهل العبارات، رقيق المعاني، ذو خيال بديع، واستعارات بليغة فائقة[6]؛ فكلّ هذا هو مجرّد إعادة لما جاء في كتب النقد القديمة ككتاب "نقد الشعر" لـ "قدامة بن جعفر".

[1] : أحمد الأكحل، ما هو الشعر ؟ النجاح، ع : 828 (1929/11/20م)، ص ..

[2] : أبي اليقظان، ديوان، المصدر السابق، ص ص 04 و20.

[3] : محمّد الهادي السنوسي، المرجع السابق، ص 187.

[4] : المصدر السابق، ص 07، ج02، ص 10 (م ن)

[5] : وادي ميزاب، ع : 22، (1927/03/04م).

[6] : النجـــاح، ع : 828.

الفصل الأول :

القضـــايا الدينية والإســـلامية شعره.

01. العقيـــدة الإسلامية والتوحيد._____

02. الإصـــلاح الديني._____

03. المنـــاسبات الدينية._____

04. الأخـــلاق والعبادات._____

الفصل الأول :

القضـــايا الدينية والإسلامية في شعره.

01. الـــدفاع عن الدين الإسلامي :

كان الدّين الإسلامي بمثابة الدّرع المتين للأمّة الإسلامية، يحفظها من التشردم والتفرّق عبر العصور، ويدافع عنها من كيد الكائدين وطمع الطامعين، وبفضله تمّ دحر الغزاة غبر حقبات زمنية متعاقبة، وعلى هذا الأساس تمّ تأسيس دولة عظيمة مرهوبة ذان لها "كسرى" وأذعن لها "قيصر".

وقد كانت الجزائر جزءاً من هذه الأمّة، لكن لسوء الحظّ، أُبتليت بأسوء استعمار سلّط عليها نباله من كلّ جهة أهمّها : اللّغة العربية والدين الإسلامي؛ لأنّه يدرك حجم الترابط والتلازم الموجود بينهما في حفظ أصالة الشعب الجزائري.

وقد تمكّن الإستعمار أن يعبث في الإسلام فساداً باستعمال وسائل متعدّدة في ذلك؛ فقد استعمل ساسة ومفكّرين الذين يطعنون في هذا الدين، ويتّهمونه بالقصورن كما استعمل أيضاً طبقة من المثقّفين الجزائريين الذي تنكّروا لأصاللتهم وانسلخوا عن ماضيهم، كما استعمل فئة من دعاة الدّين ممّثلة في بعض الطرق الضالّة؛ فكانت نعمة عليه نقمة على شعبها، وذلك بما أحدثته في الدّين من بدع، وما بثّته في الشعب من معتقدات فاسدة، وهو ما دفع "الإبراهيمي" أن ينعتها بأنّها الإستعمار ذاته : " إنّ المرابطية هي الإستعمار في معناه الحديث المكشوف، وهي الإستبعاد في صورته الفضيعة "[1].

ويتعدّد جبهات الفساد كان لزاماً تعدّد جبهات المقاومة وطرق الإصلاح، وتعدّ فترة الثلاثينيات من أشرس المراحل مواجهة بين الاستعمار وأزلامه، وبين جنود الحركة الإصلاحية الذين اتّخذوا من الأجناس الأدبية " المقالة؛ الخطابة؛ والشعر" وسائل مقاومة، تمكّنوا من خلالها من بعث التّراث الفكري الحضاري، واستعادة الأمجاد، واستلهام البطولات، وكان "محمّد العيد آل خليفة" من أكثر الشعراء تألّقاً في هذا المجال، وكان يدعو الشعب إلى التمسّك بالإسلام والعمل على حفظه؛ وأنّ يقارع أعدائه بالحجّة.

[1] : خـــرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 34.

أ. الحثّ على التمسّك بالدّين الإسلامي :

بعدما آلت إليه الثقافة العربية الإسلامية التي كانت الضحيّة الأولى للإستعمار، ظهرت في الأفق بوادر الحركة الإصلاحية في العشرينيات ممثّلة في ظهور ناشئة أصيلة المنية جعلت من الصحافة الحرّة منابر لمقاومة الواقع الثقافي المتدنّي، وكان من أبرز الأعلام "محمّد العيد آل خليفة" الذي انبرّ للدفاع عن الإسلام ودعا الشعب إلى العضّ عليه بالتواجد، يقول في قصيدة "صدى الصحراء" سنة 1924م :

"أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم *** تنازله الأحداث شرّ نـــزال

تحـــاول نكباء الضـــلالة نسفه *** وترميه أشلاء الردى بنبـــال

فقوموا مقـــامات الدفاع عليه *** ليأمن هذا الدين كلّ ضلال"[1].

فكان من مسؤولية الشاعر أن ينبّه النّاس من غفوتهم ويوقظهم من سباتهم لتنفتح أعينهم على المؤامرة الدنيئة والتي تحاك ضّد الإسلام محاولة تشويه به صورته من أجل القضاء عليه، وهو رغم كلّ هذه المؤامرات صامد ينازل الأحداث ثمّ لا يكتفي "محمّد العيد" بالتنبيه فقط، بل يحثّهم إلى الأقدام والدفاع عنه.

وقلّما تخلو قصيدة في ديوان "محمّد العيد آل خليفة" من إشارة إلى الإسلام، ومن الدعوة إلى الإلتزام به ونشره، وكانت الأعياد والمناسبات والمواسم الدينية أفضل المناسبات عنده، يستلهم منه الدروس والمواعظ، ويعالج الواقع انطلاقاً من عقيدته الإسلامية، وهي سمة ليست خاصّة بـ : "محمّد العيد آل خليفة"، وإنّما غلبت على الشعر الجزائري خلال فترة الإصلاح، وذلك عندما أصبح الدّين بعيداً عن منابعه الأصلية بسبب شيوع البدع والضلالات : " ومن ثمّ فإنّ علاج الواقع عن طريق الدين يكون بالرجوع إلى سيرة الرسّول الله صلّى الله عليه وسلّم، وجهاده إلى أخلاقه قولاً وفعلاً، لا مجرّد التغنّي والتنويه كما هو شأن المديح سابقاً "[2].

[1] : العيد محمد آل خليفة، الديوان، ط01، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، قسنطينة، 1967م، ص 13.

[2] : ركيبي عبد الله، الشعر الديني الجزائري الحديث، ط01، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م، ص 88.

ففي قصيدة "تحيّة المولد النبوي" التي نشرت بجريدة النجاح 1929م، نجد الشاعر يبتدأ بالدعوة للإحتفال بهذه المناسبة، مبيّناً فضلها، ثمّ يعرض لشمائل الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – ولدعوته وفضله على النّاس، ويتوجّه إليه متوسّلاً منه الشفاعة، والنجدة للدين نظراً لما آل إليه؛ فأرض الإسلام دنست وأهينت، ومقدّساتها استبيحت من قبل أجانب قساة لا يعرفون معنى الرحمة، راجياً أن يدرك الإسلام من أعدائه، وهي مناجاة قد تحرّك في النفوس الرغبة لنصرة الدّين :

أشكـــو إليك بما تجدّد من أدّى *** بعد إلتحاقك بالرفيق الأسعـــد
عصفت على الإســـلام بعدك صرصر *** فتبدّد الإسلام كل مبدّد
وجرت بأرض المسلمين حوادث *** شتّى كأمـــواج الخضم المزبّـــد
أتذوّق أمّتك النكال مضـــاعفاً *** من عابث في أرضـــها متمـــرّد ؟
أو لم تكن حصنـــاً لها في كربها *** دنيا وعدتهـــا يوم الموعـــد ؟
فاشفع لها عنـــد الإله وسلّ لها *** من الأمـــان وعند به واستنجد[1].

وكان "محمّد العيد" معلّماً مرشداً أو واعظاً أكثر إحتكاكاً للشباب في المدارس، وبعامّة النّاس في الإحتفالات والمناسبات، يبدّد غشاوات الجهل المضلّلة بهذي الإسلام الصحيح، يقول في قصيدة ألقيت في نادي التقدّم بمدينة البليدة سنة 1935م :

نـــداء سرّاً في مسمعي ما سرى دمي *** فليت من قلبي صداه ومن فمي
وما هـــزني إلاّ لنـــاد مبـــــارك *** يقلّ كأفق أنّهـــا مثل أنجـــم
منار به صـــوت العـــــروبة يعتلي *** وكهـــفٌ به نشء "البليـــدة" بحتمي
وغيل منيـــع فانزلوه واقبـــلوا *** عليه تبـــاعاً ضيغما إثـــر ضيغم
وركـــن ركين افبتنوه وأدعمـــوا *** ولا خير فيـــما يبتني غير مدّعـــم.
وأبقـــوه للإصلاح أبهر آيـــة *** وأظهر عنـــوان وأزهر ميســـــر

[1] : ابن سمينة محمّد، العيديات المجهولة، تكملة الديوان محمـــد العيد آل خليفة، د.ط، مؤسسة الوطنية للفنـــون المطبعية، الجزائر، 2003م، ص 42.

أعيدو به للدين عهد طلوعــه *** على الأرض فجراً جالياً كلّ مظلم[1].

فبعد تعبير الشاعر عن تأثّره الشديد للدعوة التي وجّهت له للذهاب إلى هذا النادي ليجعل منه مناراً يعتلي فيه صوت العروبة والإسلام، وحصناً يحمي الشباب من الزيغ، كما اغتنم الشاعر الفرصة ليطلب من الشباب الحاضر تأسيس هذا النادي على ركائز قوّية، ليكون منبراً للإصلاح، يعود بالدّين الإسلامي إلى ما كان عليه.

كما يتجلّى موقف الشاعر وهدفه من القصيدة، وهو الدّفاع عن الدين الإسلامي، وذلك من خلال اللّغة المستعملة "كهف؛ منيع؛ غيل؛ ضيغم "، وهي كلمات تدّل على الحماية، وكذلك من خلال الأساليب التي استخدمها "أنزلوه؛ ابقوا؛ ابنوا؛ أعيدوا"، وهي أوامر ظهر فيها الشاعر مرشداً ناصحاً.

ب.مقـــــارعة أعداء الإسلام الصليبيين وأتباعهم :

خلال فترة الإحتلال الفرنسي، أظهر الفرنسيّون حقداً دينياً حتّى قال أحدهم : "إنّ احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر، ولكنّه احتفال بتشييع جنازة الإسلام "[2]؛ ولم يكن وحده الحاقد على الإسلام؛ فقد قال "الكاردينال لافيجري" قبله :" علينا أن نحرّر هذا الشعب ونخلصه من قرآنه"؛ ثمّ أضاف :" فإنّ واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل وطردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضّر "[3].

ونتيجة لهذه الإستفزازات، حدث ردّ فعل لدى الجزائريين، التفوا من خلاله حول الإسلام، وتشبّثوا به أكثر من الماضي، "إلاّ أنّه لابّد من تنظيم يدافع عن الإسلام، ويقود المسلمين في طريق الإسلام الصحيح النّقي البعيد عن الشعوذة والخرافات التي انحرفت به، وأبعدت علمائه عن جادة

[1] : العيـــد محمّد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 92.

[2] : العلوي محمّد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1985م، ص 109.

[3] : خرفي صـــالح، شعر المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 266.

الكفاح، بينما كانوا في القديم أثناء المقاومة، والإنتفاضات القادة ورموز الوطنية "[1]. وهذا التنظيم هو جمعية العلماء المسلمين التي سخّرت كلّ الوسائل والظروف من أجل ذلك.

وكان "محمّد العيد آل خليفة" من أبرز المدافعين عن الإسلام، والذي ابتلي في زمانه بصليبيين حاقدين كثيرين، هاجموا القرآن الكريم وحاولوا الإنتقاص منه، ومن بين هؤلاء "آشيل" المعمّر الفرنسي والذي نشر مقالات مسمومة في جريدة "الديبيش" القسنطينية متطاولاً عن الإسلام والمسلمين، و"كان "ابن باديس"؛ و"محمّد العيد" له بالمرصاد؛ فكالوا له الصاع صاعين "[2].

هيهات لا يعتري القـــرآن تبديل *** وإن تبدّلت تـــوراة وإنجيـــل
قل للذين رموا هذا الكتـــاب بما *** لم يتّفق معـــه شرح وتأويـــل
هل تشبّهون ذوي الألباب في خلق *** إلاّ كما تشبه النّاس التماثيل
فاعزوا الأباطيل للقـــرآن وابتدعوا *** هيهات لا تحدي الأباطيـــل[3].

بعد إقرار الشاعر إستحالة التأثير على القرآن الكريم أو تحريفه، كما حرّف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، عرض أيضاً بأعداء الدين؛ فرسم لهم صورةً ساخرة مستفزّة؛ فشبّههم كتماثيل صمّاء ليس لها من خصائص الآدمية سوى الشكل، وتحدّاهم أن ينسبوا للإسلام ما شاؤوا؛ فلن يزيده ذلك إلاّ قوّة وتمكيناً.

ثمّ يتلفت "محمّد العيد إلى الصليبي" "آشيل" في مبارزة صريحة :

مـــا بال آشيل في "الدبيش" يسخر من *** آيات محكمة لا كان "آشيل"
مـــا بـــال آشيل بهذي في مقـــالته *** كحـــالم راعه في النوم تخيـيل
ما بال آشيل يزري المسلـــمين وهم *** غرّ العرائـــك إنجـــاب بهـــاليل
أفكـــارهم يهدي القرآن ثـــابتة *** فلا يخامرها في الـــرأي تضليـــل

[1] : العلوي محمّد الطيب، المرجع السابق، ص 109.
[2] : خـرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 267.
[3] : العيد محمّد آل الخليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 85.

أفكـــارهم بينهم شـــورى ودينهم *** فتـــح من الله لا قتـــل وتقتيل[1].

في الوقت الذي كانت كلمةً الحقّ تجلب لقائلها الهلاك المؤكّد، تلمس الشجاعة عند الشاعر الأعزل من السلاح، يتصدّى بوجه صارخ لـ : "آشيل" في أبيات كلّها تهديد، يتّهمه فيها بالهذيان، ويدعو له بالهلاك، ليس لـ : "آشيل" بعينه، وإنّما للإستعمار الفرنسي ككّل.

بعد هذا الرّد المقرع لـ : "آشيل" "يلتفت الشاعر إلى "ابن باديس" في وفاء واعتراف بالجميل، وفي عاطفة دافقة، بما يستّحق من التقريض "[2].

يشبه مـا قام به "ابن باديس" في ردّه على "آشيل" ما فعله "محمّد عبده" في ردّه على "هانوتو؛ وبرتيلو"[3].

هذا ابـــن باديس يحمي الحق متئداً *** كـذلك يتئد الشم التمـاثيل
إنّي أرى "عبده" المرحوم مندفعاً *** ينحى على رغم "هانوتو وبرتيلو"
دمغت أقوال آشيل كما دمغت *** أبطـــال أبرهة الطـــير الأبـابيل[4].

ج. محاربة الطـــرقيين :

حمل الشعر أثناء الإستعمار الفرنسي بعض الأحياء، ورأى أن يكون للكلمة دور في مقاومتها، وهي الطرقية، وقد "تكوّنت الطرق الصوفية في الأصل في المغرب العربي في بعض الرباطات الجهادية التي أقامها العلماء والقادة لحماية الثغور والممّرات الإستراتيجية المؤدّية إلى أرض الإسلام، وعرفت هذه الرباطات فيما بعد بالزوايا "[5].

وقد لعبت الزوايا دوراً مهمّاً في نشر التعليم والإرشاد ونشر الإسلام ومحاربة العدوان؛ فـ : "الأمير عبد القادر" من خريجي الزوايا، والكثير من قادة الثورات هم خريجوا زوايا حاربوا الإستعمار.

---

[1] : العيد محمّـــد آل خليفة، المصدر السابق، ص 86.

[2] : خـــرفي صالح، صفحات من الجزائر، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص 73.

[3] : هانوتو : مؤرخ فرنسي (1853م/1944م)، ورجل سياسة حاول النيل من الإسلام.
برتيلو فيليب : سياسي فرنسي (1866م/1934م).

[4] : العيـــد محمّد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 86.

[5] : الخطيب أحمد، جمعية العلمـــاء وأثرها الإصلاحي، المرجع السابق، ص 56.

وبسبب بعض الغلو الذي اتّسم به بعض مشايخ الزوايا وإدّعائهم امتيازات لا تتوفّر لغيرهم من البشر، تمكّن الاستعمار من نفسية هؤلاء واستمالتهم إليه : " مغذّياً فيهم روح التفسّخ الديني والإنحلال الخلقي مغدقاً عليهم الأموال ليقيموا الحفلات والولائم، واستطاع بواسطتهم السيطرة "على عامّة الشعب الجزائري" ...؛ فقد أصبح الدين في عرف أدعيائه تعبّداً لا يقبل الجدلولا النقاش، لا يقبل إلاّ التسليم، وأصبحت الحكمة السارية المجسّدة لهذا الوضع المنحرف "إعتقد ولا تنتقد" "[1].

وأمام التبعية الشعبية لبعض الطرق الصوفية المنحرفة، وتبعية طرقية للإستعمار، اصبح من الواجب على الحركة الإصلاحية أن تقود حرباً ضدّ هذا الوضع، وكان الشعر من الوسائل التي استعملتها، ووصل الصراع بين الطرفين إلى قمّته؛ "فقد تعرّض "ابن باديس" لمحاولة اغتيال من أحد أتباع الطريقة العليوية "[2]؛ وكان لهذا صدى واسع في أوساط الشعب، خاصةً الطبقة المثّقفة، وهو الأمر الذي دفع "محمّد العيد" إلى نظم قصيدة جاء فيها :

حمتك يـــدي المولى وكنت بـها أولى *** فبـــالك من شيخ حمته يـد المولى
وأخطـــأ المـــوت الرؤام يقـــوده *** إليـــك امرؤ أملـــي له الغي ما أملى
فيالـــوضيع النفس كيف تطـــاولت *** به نفسه حتّى أســـر لك القتـــلا
ونـــالك في جنح الدجى بـــهراوة *** فأدماك با أدمى الكـــرامة والفضلا
وأدمى البرور المحض والرفق والهدى *** وأدمى الشعور الفض والحدق والنبلا[3].

بعد تهنئة الشاعر الإمام بالنجاة التي أحاطته بها الرعاية الإلاهية، بين أنّ هذا الفعل الدنيء، لجأ إليه الضالّون مدفوعين بالباطل بعدما أفحمتهم الحجّة والبيّنة، وهو فعل جبان ثمّ تحت جنح الضلام، يراد منه إسكات صوت الحّق، ثمّ التفت إلى مرتكبي الجريمة متجاوزاً الهدوء الذي عرف به ناعتاً لهم بالآيادي الآثمة التي يحرّكها المستعمر، ويثبت أن أعمالهم لا علاقة لها بالإسلام :

ولم يلبث الأشـــرار حتّى تـــــآمروا *** عـــليه فلم يألـوه من شـرّهم خبـلاً

[1] : خـــرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 36.
[2] : تنسب الطريقة العليوية إلى أحمد بن مصطفى بن عليوة، التي أسّسها في مدينة مستغانم سنة 1910م.
[3] : العيد محمّد، الديوان، المصدر السابق، ص 122.

أرادوا بم الفتـــك الدريع شمـــاتة *** ومـــا كان للفتك المـــزاد به أهـــلا

فهل كان هذا شأن من يدي التقى ؟ *** وهل كان هذا شأن من يدعي الوصلا ؟

أمّا كان إزهـــاق النفوس محرّمـــاً *** عـــلى القوم أم ظنّوا النفوس لهم حلا

إذا كنتم يـــا قوم بالحـــق قـــادة *** فأدلـــوا ببـــرهان إليه كـــما أدلى

تنخلتم يـــا قوم فعـــل محمّـــد *** ومـــا كان فيكـــم من يشهـــه فعـــلا[1].

"ويلتفت مرّةً أخرى إلى الماضي العادل يستنجده على الحاضر الجائر إلى مشرق الرسالة يستضيء ببصيص من نوره في ليل دامس يغطيّ الجزائر "[2].

فوا عظم صبري أين عهـــد محمد *** تـــراه يتيح الله رجعتـــه أم لا ؟

تعالى أبا حفص ترى العدل ذاهباً *** كما شاءت الدنيا تر الجور محتلاً

تغيّرت الآثار بعدك وانطوت *** رسوم الهدى واخلـــولق الدين أن يبلى

وجاء على الإسلام بعدك معشر *** تعدوا حمى الإســلام وافترقوا سبلا[3].

وهذه القصيدة طويلة عالج فيها الشاعر جوانب عديدة من الفكر الإصلاحي، وفيها عبر من التاريخ الإسلامي، وشخصيات لها أثر في الدين الإسلامي مثل : "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه.

والشاعر له إحتكاك مع الناشئة ساءته ما هي عليه من تدهوّر عقلي في فهم الدين، وآلمه وضع الإسلام بين أعبائه الجاهلين؛ فلم يتردّد أبداً في مقاومة سمومهم المبثوثة في أواسط الشباب، ويدعوهم أن ينهلوا من نبع الإسلام الخالي من الشوائب، ويجعل القرآن الكريم منطلقه الأوّل؛ ففي كلّ مناسبة يخاطب طلاّبه في مدرسة الشبيبة بـ : العاصمة؛ قسنطينة؛ وفي بسكرة سنة 1928م، يقول :

يا محشر الطلاّب هل من آخذ *** بالذكر أو متمسّك بزمـامه

فتشرّفوا بالأخـــذ من آدابـــه *** وتعرّفوا بحـــلاله وحـــرامه

ولكـــلّ شيء في الحيـــاة أذية *** وأذيـــة القـــرآن من أقوامه

[1] : العيد محمّد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 123.

[2] : خـــرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، المصدر السابق، ص 224.

[3] : العيد محمّد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 123.

عملوا على التحذير من تفهيمه *** فكأنّهم عملوا على إعدامه[1].

وكانت تعرية من يدعون بالدّين وفضح خباياهم من وسائل الرّد المؤثّرة عليهم، حيث كانوا يحيطون أنفسهم بقداسة مرهبة للعامّة، ويظهرون بمظاهر مختلفة مع ما يتبع ذلك من فكر غريب، و"كان هذا التطرّف في الإنحراف أكبر مبرّر للتطرّف والعنف في الهجوم عليه؛ فوجدنا شعراً ينتقض حقداً على التلاعب بالدّين "[2].

يقول "محمّد العيد" في مقطع من قصيدة الخالد الذي ألقاه سنة 1933م بمدرسة الشبيبة بالجزائر العاصمة :

ومن اللسن والمجامع والأقـ *** لام في الصحف شر طعم

وفشا الدجل فالولاية دعوى *** كلّ ذي سبحةٍ تطوّر وذقن

وغلا القوم في الولي فظنّوا *** أنّـــه كالإله يغنـي ويقني

وأبو الكوثر العلوم عطاشا *** طمعاً في ورود علم لدني[3].

هذا فيضٌ من غيضٌ؛ فالمطالع على شعر الحركة الوطنية عامّةً، وشعر "محمّد العيد" خاصةً، يلاحظ أنّه قلما تخلو قصيدة من التلميح إلى الوضع الثقافي السائد منيهة للعقول.

- **الدعـــوة إلى نشر العلم :**

إذا أردنا أن نتكلّم عن نشر العلم في عهد الحركة الإصلاحية التي ينتمي إليها "محمّد العيد"، يجب الإشارة إلى جمعية العلماء المسلمين التي كانت مشرفةً على الإصلاح الاجتماعي؛ والثقافي؛ والإقتصادي؛ والسياسي، وكان شغلها الشاغل في إصلاح القضايا السابقة هو إحداث ثورةً علمية بعد تهيّأ أسبابها "يعدّ تدليل العقبات وتمهيد الطرق التفت أولائك المصلحون إلى الناحية الثانية، ناحية الإصلاح العلمي؛ فدرّسوا مسارب الجهل إلى جسم الأمّة، وكيف تكون مكافحتها وأساليب العلم القديمة، وكيف يكون إصلاحها، وحاجة الأمّة إلى الفنون الحديثة، وكيف يمكن جلبها؛ فساروا

[1] : العيـــد محمّدآل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 90.

[2] : خـــرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 36.

[3] : محمّد العيـــد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص 111.

في هذا السبيل خطوات بعيدة، قلّصوا ظلّ الجهل ونشروا أنوار العرفان، فتحوا المدارس في مختلف البلاد، وهذّبوا أساليب التعليم، وقرّبوا منال العرفان إلى الأفهام؛ فكانت في الشعب الجزائري الذي كان مضرب الأمثال في الأمّة والرطانة، نهضة علمية مباركة تضمّ بين أبنائها ثلّة من العلماء الفطاحل، والخطباء المصاقع والكتاب المجيدين والشعراء الفحول "[1].

جاء هذا النّص في جريدة البصائر بتاريخ : 27 ديسمبر 1935م، ويليه في نفس العدد قصيدة مطوّلة للشاعر "محمّد العيد" مع تقديم بعنوان : " ومن العلم للمواطن تاج"، يشير فيه الشاعر إلى الحفل الذي جمع الشبيبة، وأشاد بالجهود البنّاءة المبذولة يعرج فيها على ذكر هموم الأمّة، وما يسودها من فساد، ثمّ يخلص القول بالحديث عن العلم الذي ظهر عند الأعداء في شكل ابتكارات واكتشافات تستصرخ النفوس الشفوفة بها مجسّدة في وسائل لا غنى عنها :

إنّ في العصر آيةً لبني الشرق *** ولكنّهم عن الذكـــر حادوا

نفخ الصور للقيامة في الأر *** ض وقامت من القبور العباد

ودوى العلم في السماوات والأر *** ض وردت دويه الأبعاد

هتف البرق باسمك الخالد السا *** مي وحيّاك بالغناء الرادو

وغزى الغاز تحت بندك وأنطا *** د إلى أوّج خـلدك المنطـــاد[2].

ويتساؤل الشاعر عمّا يصفد أمّته، أمن الظلم الذي تهانيه أم من الأوهام التي سكنت عقله أم من الخلاف الذي دبّ في أوصالها؛ فأوقع بها جهل حالك لا خلاص منه ؟

إنّ أفكارنا تحاك الغشاوا *** ت عليها وتضرب الأسـداد

أمن البغي فوقنا مرهفات *** ومن الوهم حولنا أصفـــاد ؟

قد وقعنا يا علم في هوة الجهـ *** ل ولما يتاح لنا الأتجاد[3].

ثمّ يلتفت إلى الشعب ويدعوه إلى السعي لطرح الإهمال والجهل :

[1] : أبو اليقظان، موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، البصائر، ع : 01، دار البعث، قسنطينة، 27 ديسمبر 1935م، ص ص 05 و06.

[2] : أبو اليقظان، المصدر السابق، ص ص 05 و06؛ أبو العيد آل خليفة، ديـــوان، المصدر السابق، ص 118.

[3] : المصدر نفسه، ص ص 05 و06؛ أبو العيد آل خليفة، ديـــوان، المصدر نفسه، ص ص 118 و119.

أيّها الشعب اعتد الكسب دخراً *** ليس بالكسب للشعوب عتاد

شاء فيك الإهمال والجهل والغفـ *** لة والفقـــــر والضنا والكســـــاد

فإذا قمت بالفلاحة أثرى *** في الألى أعـــدموا فيك ســـــــادوا

وإذا قمت بالتجارة فيك أزرى *** بالألى أسلموا الألى فيك هادوا[1].

وقد حزّ في نفس الشاعر رؤية الجزائر – بلد الخيرات – تستجدي قوتّها من فرنسا؛ لأنّها تفتقر المقوّمات :

غير حيّ على البسيطة شعب *** ليس فيه صناعة وإقتصاد[2].

"ويقارن بين العلم والجهل بين القوّة المادية المخرّبة وبين القوّة العلمية البانية "[3]؛ ويقول إنّ العلم هو سلطان الوجود ووسيلة المجد والريادة، ومناعة الأوطان. ويرى أنّ أغلى ما يمكن للإنسان تشيّده من حصون، وما يرفع من قلاع يتمثّل في المدرسة التي تنتج العقول، أمّا الجهل، فهو كـ : الغراب الذي لا يحوم إلاّ على الخراب :

العلم سلطان العقول فسدّ به *** من شئت أو ذدّ عن حياضك وادفع

وإلجأ له بدلاً الحصـــون فلا أرى *** حصناً كمـــدرسة سمت أو مصنع

قل للجـــــزائر انشئي كـــلية *** تمحـــو جهـــالة شعـبك المتسكّـــع

الجهل غيم فـــوق أرضك ضـــارب *** غطـــى على أحيائـها والأربع

الجهل أشـــبه بالغـــراب فما له *** من مترلٍّ غير الخـــراب البلـــــقع[4].

مقـــاومة الفقر :

ليس الجهل وحده من يلهي الشعب عن العلم، ولكن الفقر أيضاً، اليتم والأيتام، وجلّ مظاهر البؤس والحرمان التي سبّبها الإستدمار الفرنسي، جعل الشعب يعيش الفقر أعواماً كأعوام "يوسف" القاسية، لا أحد يجبر كسر الآخر؛ لأنّه يشقّ عنه كسب الرغيف أو الحصول على سترة رثة، ومقابل

[1] : أبو العيد آل خليفة، ديـــوان، المصدر السابق، ص 06؛ أبو العيـــد آل خليفة، ديـــوان، المصدر نفسه، ص 121.

[2] : محمّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، .....

[3] : سعد الله أبو القاسم، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط02، دار المعارف، مصر، 1968م، ص 140.

[4] : العيد محمّد آل خليفة، الديـــوان، المصدر السابق، ص 145.

هذا يوجد أنّاس يتطاولون في العمران حتّى لا ينظرون إلى من دونهم، وذلك بسبب موت مشاعرهم، يصوّر الشاعر هذه المآسي سنة 1931م :

فشا الجوع واشتدّ عسر المعاش *** وعادت سنو يوسف الغابرة
تفاقم كرب الفقـير الكسير *** أمّـا عندكم من يد جـــابرة
يشـقّ عـليه الرغيـــف الطفيف *** وتعـــوزه الخرقة الســـاترة
فيـــا أيّـــها الرافعون القصـور *** إلى الجـوّ في الأمّـة القاصرة
ويـا أيّها الـــوادعون النيام *** على الخزفي في السرر الفـاخرة
ألا تذكـــرون حفـاة عـراة *** أصـــابهم الفقـــر بالفـــاقرة[1].

مقـــاومة الإنحـــراف :

كانت الحركة الإصلاحية تهدف إلى تكوين الإنسان تكويناً متكامل الجسم والروح، وهذا لا يتّم إلاّ بعامل التربية التي تحول بينه وبين شرورة الحياة، ومن ينظر إلى الأخلاق العامّة مع بداية الحركة الإصلاحية يُصاب بالذعر؛ الإنحراف شمل البنين والبنات؛ لهو وعبث في الأزّقة؛ وتعاطي للخمور وغيرها، وهو وضع ينذى له الجبين؛ مجدٌ ضاع ليس هناك قدرة على ردّه :

يا لمجد مضيع غير مجد *** عضّ كفّ عليه أو قـــرع ســن
قف معي بالجزائر اليوم واسبر *** غور أحداثها بعيـــن وأذن
تجد الطفل في الأزقة يلهو *** والفتى يشرب الخمـور ويزني
تجد الطفلة اليتيمة تشقى *** تحت خذر تنوء أو تحت خدن[2].

قامت هذه الصورة بدفع الشاعر إلى الوقوف موقف المسؤول تجاه وطنه وشعبه، لم يكتفي بنقل الصور السوداء عن هذا الوضع، وإنّما عمل أيضاً على إصلاحها، وذلك من خلال ذكر كلّ آفةٍ اجتماعية، وما ينجرّ عنها، وكلّ سلوك وما يترتّب عنه، ومن ثمّ الترغيب إلى الفضائل والتنفير من الرذائل، وهذه هي طبيعة الشعر الاجتماعي الذي يشخّص الدّاء ويقترح الدواء :

[1] : العيـد محمّد آل خليفة، الديوان، المصدر السابق، ص ص 251 و252.
[2] : العيد محمّد آل خليفة، الديـوان، المصدر نفسه، ص 110.

الخـــمر شربة رجس أم أرجـــاس *** الخمر صـــاعقة تهـــوي على الراس

الخمر فـــأس خراب هدّمت أسـرا *** مصونة عاث فيها صاحب الكاس

يـــا شارب الخمر ما ترجوه من درن *** للعرض، غول عقول، لص أكياس

فحطّم الكـــأس واهجـــر كلّ رفقتها *** تعش سعيداً وتـأمن ألسن الناس[1].

فكان الإنحراف الأخلاقي بجميع أشكاله السبب الرئيسي وراء تعثّر خطى الإصلاح؛ فلا يمكن إجراء أيّ تقدّم دون مقاومة هذا الورم، وإقتلاع جذوره من بينها سفور الفتيات وانحرافهنّ وتخليهنّ عن الآداب، وإعراضهنّ عن الإسلام، مقلّدنّ بذلك النساء الغربيات، يقول "محمّد العيد" في هذا الصدد :

مـــا بال سير فتاة العصر منحرفاً *** يهوي بها في مهاوي الإفك والزور

ما بـــالها هجرت آداب ملّتها *** ما بـــالها أعرضـــت عن خير دستور

في كـــلّ مرحلةٍ تزداد ظلمتها *** في الـــرأي فـــاقرأ عليها سورة النـــور[2].

ومن خلال هذا، نصل إلى أنّ المقاومة الثقافية عند "محمّد العيد آل خليفة" لها رؤيةً بعيدة، تمتّد إلى الأجيال القادمة؛ فالواقع بكلّ معطياته الثقافية والسياسية والاجتماعية، كان يتطلّب تغييراً جذرياً؛ فالشاعر لم يجد في جيله نمطاً مؤهلاً، لذلك ولهذا ركّز على الأجيال القادمة، "إذا كان يرى في الشبيبة أشبالاً في المدرسة باعتبارها حارسة أمينة على وطنها ودينها ورقيّ بلدها "[3].

وحراسة المقوّمات السابقة لا يمكن أن تحصل إلاّ من خلال تكوين الشباب تكويناً يجمع كلّ من المعرفة الحديثة والتطوّر التكنولوجي، ومن ثمّ تكون قادرة على صناعة الأحداث.

ويمكن القول أيضاً :" أنّه ومن خلال المقاومة الثقافية استطاع المثقّفون الجزائريّون إنقاذ الهوية الوطنية من خطر التمييع، وذلك لأنّها ارتبطت بجذور قومية إسلامية، وهي "لا تهيّأ لمجرّد التحرير، وإنّما

[1] : العيد محمّد آل خليفة، الديـــوان، المصدر السابق، ص 281.

[2] : العيد محمّد آل خليفة، الديـــوان، المصدر نفسه، ص 279.

[3] : فاطمة ولد حسين، الألفاظ السامية في ديوان محمّد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير في اللغويات، جامعة قسنطينة، 1992م/1993م، ص 43.

لبعث الشخصية؛ فعندما يستنهض أبناء الجزائر؛ فبصفتهم أبناء الضاد وعندما يستنفرون؛ ولأنّ الإسلام يأبى الذلّ والضيم، وعندما يدعون للثورة فلتحرير العقيدة واللّغة ""[1].

1. الشعـــر الديني عند "محمّد العيد آل خليفة" :

يتّصل بهذه النزعة في علاقته بالنّاس نزعةً أخرى في علاقته بالله وبالتعاليم السماوية، وقد سبق أن لاحظنا أنّ صلة الشاعر بالدين كانت أقوى من أن تقاوم، وأوضح من أن تكون محلّ مناقشة، وقد تواترت الأخبار عن عارفيه؛ وتلاميذه؛ وأصدقائه؛ أنّه كان تقّياً ورعاً في مظهره وسلوكه؛ فما الدينا من شعره يدّل على أنّه كان يستلهم كثيراً من خواطره وأفكاره من رصيده الديني، ويهدف في أكثر ما يقول إلى غاية دينية واضحة ... وهذا السلوك يتمثّل في عدّة مظاهر منها، في الخارج أنّه كان يطلق لحيته، ويغطّي رأسه، ويلبس الجلباب، ويؤدّي الواجبات الدينية في أوقاتها ...، وكان يطرق في شعره موضوعات دينية محضة أو تهدف إلى غرض ديني، كـ : "الحملات" التي شنّها على بعض المستشرقين والقصائد التي هنّأ بها الداخلين في الإسلام من الأوروبيين أو التي أشاد فيها بمصلح كبير أو مؤسسة معروفة، كما فعل مع الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" في حفلة ختم القرآن ومع الجمعيات الإسلامية وجمعية العلماء والشواهد على ما نقول كثيرة، يجدها القارئ مبثوثة في شعره، أمّا في الدّاخل من أعماق الشاعر؛ فقد كانت هذه النزعة الصوفية تطغى عليه أحياناً حتّى تضطّره إلى الإنقطاع عن قول الشعر وهجر النّاس، والتّوجيه بقلبه وروحه إلى ربّه لعلّه يجد على النّار هدى، كما يقول مخاطباً قلبه :

أقلني جانب الدنيا أو قلني *** فإنّني من متـــاعبها أئنُّ[2]

إلى الأخرى فعرج بي تفرج *** على نـــار يكاد بها يجنّ

وهو يعتبر نفسه أسيراً للفرائض الدينية، إذ يطمع في حياة أفضل وأكمل وتثوثق صلته بالعالم الآخر؛ فيرغب في قطع جميع الأسباب التي تربطه بهذه الحياة، المليئة بالشهّوات والأطماع والمظالم،

[1] : خـــرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 155.

[2] : محمّد العيد آل خليفة، المصدر السابق، ص 101.

وينادي قلبه أن يتحرّر وينطلق من عقاله ووحله، وأن يفيق من تصابيه الذي لم يعد يرضاه له دينه الحنيف :

تحرّر وانطلق يا قلب حيناً *** إلى كم أنت للشهـوات قنّ

أفق يا قلب من سكر التصابي *** فلا يرضاه لي دين وسنّ

إنّ عقيدته في الحياة لا تتجاوز إرضاء ضميره بأداء واجباته نحو الآخرين؛ فإذا تعاونوا معه رضى عنهم وارتاحت نفسه، واستبشرت، وإن أعرضوا عنه، وقف منهم موقفاً حيادياً تارةً وموقفاً ساخطاً قاسياً تارةً أخرى.

إنّ الإصلاح سمةٌ غالبة على شخصيته، وهو في شعره لم يتناول قضايا فلسفية أو عقلية مجرّدة؛ فقد كان يقتبس من القرآن الكريم والسنّة النبوية، ويوظّف التاريخ الإسلامي، الشاعر "محمّد العيد آل خليفة" رجل إصلاح بما وقر في ذهنه وتأصّل في روحه، سواءاً في ذلك بيئته؛ وتربيته؛ وتوجيهه؛ واستعداده الفطري، وبما تلقاه من مبادئ وتوجيهات دينية وفكرية وإصلاحية على أيدي معلمّيه ومرشديه، كـ : الشيخ "عبد الحميد ابن باديس"، وقد تجلّت هذه الروح في أشعاره، وجاء شعره الديني شعراً إصلاحيّاً اجتماعيّاً؛ فكان شعراً بعيداً عن القضايا الفلسفية أو العقلية المجرّدة، ومحاورة لا تخرج عن قضايا الأمّة والوطن والإصلاح؛ فهو شاعر ملتزم يكتفي بتوجيه المجتمع وجهة تخدم القضايا الأساسية الملموسة، كـ : قضايا الحرّية والهوّية الأمّة، وتجلّى شعره بالبساطة والوضوح، وكثيراً ما وقف شعره عند الحقيقة[1].

كان الشاعر ينطلق في شعره من أربع كلّيات هي : الوطن؛ والعروبة؛ والإسلام؛ والإنسانية؛ فكان سجّلاً أميناً لأحداث الوطن، ومعبّراً عن آمال الأمّة وآلامها، ولا تكاد تخلو قصيدة من الطابع الديني حتّى في القصائد الذّاتية، وقصائد الرثّاء والوصف

وإنّ الحديث عن شعر "محمّد العيد"، يقودنا الحديث عن الشعر الديني الجزائري، الحديث الذي امتاز بتنوّع الموضوعات، إذ يعدّ "محمّد العيد آل خليفة" من أبرز الشعراء الجزائريين الذين تناولوا الموضوعات الدينية في أشعارهم، وبغزارة الإنتاج والتركيز على الإصلاح الاجتماعي والديني؛ فقد كان

[1] : محمّد آل خليفة للدكتور أبو القاسم سعد الله، كتاب شاعر الجزائر، ص ص 100 و101.

له دورٌ كبير في الساحة الأدبية والروحية والسياسية الجزائرية، محاور قضايا الأمّة والوطن والإصلاح[1]؛ محارباً فيها الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، ومعزّزاً القيم الإسلامية[2]؛ كما عبّر في بعض قصائد عن خلجات نفس تواقة إلى حياة روحية سامية، مستخدماً ألفاظ وعبارات تؤكّد مرجعيته الدينية، مثل : "رحم الله"؛ "جزاهم"؛ و"النعيم"[3].

وبذلك يظهر شعر "محمّد العيد" التزاماً دينياً مسخّراً إبداعه الأدبي لخدمة قضايا الدين والمجتمع؛ فهو يكتفي بثلاث اتّجاهات في شعره وهي : الشعر الصوفي؛ الشعر الإصلاحي؛ الشعر الديني الملّحون.

والملاحظ أنّ الشعر الصوفي كان في أغلبه مدائح دينية وتوسّلات بالرّسول والصحابة والأولياء، وقد تجلّى هذا الاتّجاه بوضوح بعد تعرّض الجزائر لحملات الدول الأجنبية، وبخاصة الحملات الإسبانية، وقد عمل الأتراك العثمانيّون أثناء وجودهم في الجزائر على تشجيع هذا اللون من الشعر، وهناك من الشعراء من كتب قصّة الرّسول حياته، معجزاته، نبوّته، أخلاقه، غزواته، وتحدّث عن صحابته، وأهل بيته، وآثاره، وفضائله ... [4].

أمّا شعر الإتّجاه الإصلاحي؛ فقد ظهر بظهور الفكر الإصلاحي الذي بدأ يتبلّور قبيل الحرب العالمية الأولى، وبرز بشكلٍ واضح بظهور "جريد المنتقد" عام (1925م)، وهي أوّل صحيفة رفعت شعار الفكر الإصلاحي ....، وأعلنت عن هويتها التي تتمثّل في الرجوع إلى الماضي العريق فكراً وثقافةً وتراثاً[5].

وكان شعراء الإصلاح يتأمّلون واقع المجتمع والأمراض التي شاعت فيه، واجتهدوا في علاجها عن طريق الدين وقيمته، وسلكوا أسلوب اللّوم، والتقريع أحياناً والسخرية والتهكّم أحياناً أخرى،

---

[1] : محمّد العيد آل خليفة، الشعر الديني، المصدر السابق، ص ...

[2] : محمّد العيد آل خليفة، الشعر الديني، موقع الدكتور الشارف لطرش، مجلّة حوليات التراث، ع : 02، جامعة مستغانم، 2004م، ص ..

[3] : محمد العيد آل خليفة، البعد الروحي، مجلّة الفكر الثقافية، ع : ... بلد، سنة، ص ..

[4] : عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م، ص 48.

[5] : عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، د.ط، الشرطة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م، ص 559.

وأعلنوا رفضهم إهمال المرأة والأطفال، ودعوا الناس إلى التّوبة والرجوع إلى الله، كما دعوا إلى رفض الفكر الغيبي الذي لا سند له من الكتاب والسنّة، وكان الجامع بينهم المبدأ الذي يقول : "الإصلاح يبدأ من الدين وينتهي به"، ولم يعد شعرهم مدحاً فقط لصاحب الرسالة الإسلامية، بل حمل الهمّ الاجتماعي للشعب؛ إضافةً إلى القيم الروحية والتربوية، وكان بين التيّارين الشعريين الصوفي والإصلاحي معارضات ومجادلات شبيهة بشعر النقائض الذي شاع في العصر الأموي، ولكنّ الشاعر "محمّد العيد" لم يشارك في تلك المجادلات، أمّا أصحاب الشعر الديني الملحون؛ فكان عددهم كبير،، وكانت قصائدهم تقترب من الفصاحة، وكان فيها المديح والنصائح والحكم والنقد لأحوال المجتمع والتصرّفات الغريبة عنه، ولكنّه لم يراعي الإعراب والقواعد في نظمه والشعر الديني عند "محمّد العيد" يمثّل أغلب شعره، وهو شعر إصلاحي، والإصلاح سمةٌ غالبة على شخصيته؛ فهو يوظّف التاريخ الإسلامي المشرقي، وبعض مواقف أعلامه، ورجاله في الرسالة التي يحملها والقضايا التي يدافع عنها؛ ففي شعره نجد التمجيد للشهادة والشهداء[1]؛ وذلك في أكثر من قصيدة، والإبتهال إلى الله، وله في هذا الموضوع عدّة قصائد منها قصيدة "فاتحة ثناء وابتهال"؛ وفيها يقول :

حمدتك باللّســـــان والجنان *** وحمدك غرة النعم الحسان

وباسمك أتبدي وعليك أثني *** ممّا أثنيت في السبع الثاني

فأنت موفقي للخير فضلاً *** وأنت معلمي قـــول البياني

والإحتفاء بالأعياد الدينية والمناسبات، كـ : المولد النبوي الشريف؛ وشهر الصيام والحجّ، وفي هذا المقام يقول "صالح خرفي" : "يحلّق "محمّد العيد" في الآفاق البعيدة للرسالة السماوية والمواقف البطولية لظهور الإسلام، والتركيز في حياة صلّى الله عليه وسلّم على جانب الجهاد، والوقوف مليّاً عند فتوحاته، وتلك هي مطامع الشعب الجزائري وهو يعاني من التحكّم الأجنبي "[2].

[1] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر السابق، ص 435.

[2] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وفي الردّ على أعداء الدين له عدّة قصائد منها : قصيدة "هذيان آشيل"[1]؛ و"آشيل" أحد غلاة الإستعماريين في الجزائر، وقد كتب عدّة مقالات في إحدى الجرائد المتعصّبة تحامل فيها على الإسلام والمسلمين؛ فكان ردّ الشاعر قائلاً في تلك القصيدة :

هيهـــات يعتري القـــرآن تبديـــل *** وإن تبدل تـــوراة وإنجيـــــل

قل للذين رمـــــوا هذا الكتاب بما *** لم يتّفـق معه شـرح وتأويـل

هل تشبّهون ذوي الألباب في خلق *** إلاّ كما تشبه النّاس التماثيل.

وفي الحثّ على الإعلام الرسالي الهادف "الذي يحمل رسالة الدّين والأمّة" له قصيدة "تحيّة جريدة السنّة"[2] التي يقول فيها :

تجرّأ أساس العدل إن كنت شائداً *** فما كان طاغٍ قائم الركن ســـائداً

تنفس فجر الحقّ حولك صادقاً *** أغرّ فمـــــا غرّ العيـــون الرواقـداً ؟

ويـــا أيّها الدّاعي إلى الله لا تهن *** ولا بك في البأساء صبرك نـافذاً

وكان لـ : "محمّد العيد" حوليات شعرية اعتاد إلقاؤها في المناسبات الخاصّة بجمعية العلماء، وفيها تنويه بالقيم الساميّة للدّين الإسلامي، وتغنّ بالعلم والعلماء، ويلتفت الشاعر إلى تاريخ السلف الصالح؛ فيذكر خصائصهم، ومن ذلك انتهازه لمناسبة إسلام شاب فرنسي يدعى "نبوا"، وتسمّى بعد إسلامه "علي سليمان"؛ فنظّم قصيدة "تحيّة المسلم الجديد"[3]؛ وراح يبيّن فيها مكانة "سلمان الفارسي"؛ و"صهيب الرومي"؛ و"بلال الحبشي" في الإسلام.

[1] : محمّد العيد آل خليفة، أدب الجزائر، د.ط، مطبعة البعث، الشركة الوطنية للنشر، قسنطينة، 1967م، ص ..

[2] : محمّد العيد آل خليفة، أدب الجزائر، المصدر نفسه، ص ..

[3] : محمّد العيد آل خليفة، أدب الجزائر، المصدر نفسه، ص ..

الفصل الثـــاني:

الخصـــائص الفنّية والجمـــالية في شعر

01. ثنـــائية الشكل والمضمون._____

02. الإلتـــزام الديني في شعـــره._____

03. اللّغـــة القرآنية._____

04. السيرة النبـــوية._____

05. الـــدفاع عن الإســـلام._____

الفصل الثاني :

الخصائص الفنّية والجمـــالية في شعره.

تمهيد :

بعد أن تناولنا في الفصل الأول أبرز القضايا الدينية والإسلامية التي عالجها الشاعر محمد العيد آل خليفة في شعره، ووقفنا على مدى ارتباطه العميق بثوابت الدين ومبادئ الإسلام، وعلى دوره في توجيه الخطاب الشعري نحو خدمة قضايا الأمة والدعوة إلى الإصلاح والتمسك بالهوية، يحسن بنا في الفصل التالي أن ننتقل إلى دراسة البعد الفني والجمالي لهذا الشعر. إذ لا تكتمل صورة الإبداع الشعري إلا بوقوفنا على ملامحه الفنية. فالشاعر، وإن حمل همَّ الأمة وتشبَّع بروح الإسلام، لم يغفل عن صناعة شعره بلاغةً وتصويرًا وإيقاعًا، مما جعل تجربته الشعرية تتسم بالتوازن بين المضمون الهادف والأسلوب الرفيع. لذا سنخصص الفصل الثاني لتحليل الخصائص الفنية والجمالية في شعره، من خلال رصد عناصر البناء الفني،كثنائية الشكل والمضمون ،الإلتزام الديني في شعره و اللغة القرآنية،وذالك من أجل الوقوف على القيمة الجمالية التي تميزت بها تجربته الشعرية.

أوّلاً : قضيّة الشكل والمضمون :

لم يكن البحث في قضيّة الشكل والمضمون من المسائل المحدّثة؛ فهي قضية لطالما شغلت بال المهتمّين بالدّراسات الأدبية والنقدية عبر العصور، سواءاً على مستوى الآداب الغربية أو العربية، حيث يرى الدكتور : " زكي العشماوي"؛ أنّ " أي خلط في فهم طبيعة العلاقة بين الشكل والمضمون، سيؤدّي بالضرورة إلى الخلط في الحكم على الآثار الفنّية، وإلى اختلاف النقّاد والأدباء في حقائق إن جاز الإختلاف فيها في العصور الماضية؛ فلا يجوز أن يختلف عليها أحدٌ اليوم "[1].

وقد انقسم النّقاد وفقاً لهذا الطرح إلى فريقين : فريقٌ يؤمن بالشكل، ويراه هو الأصل؛ وأنّ المضمون لا قيمة فنّية له؛ وأنّ الفنّ يكمن في الصياغة والأسلوب، وفريقٌ آخر يؤمن بالمضمون باعتباره أصل العمل الفنّي، وهذا الفرق "قام بتحديد المضمون تارةً بها يلذ وتارةً بها يتّفق مع

[1] : محمّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، المرجع السابق، ص 237.

الأخلاق، وتارةً بما يسمو بالإنسان إلى سماوات الفلسفة والدّين، وتارةً بما هو صادق من الناحية الواقعية، وتارةً بما هو جميل من الناحية الطبيعية المادية "[1].

وفريقٌ ثالث آخر، يرى أنّ الشكل والمضمون لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، وهذا ما ذهب إليه "أرسطو" حين رأى " أنّ الماهية ليست فكر منفصلاً عن الأشياء، والحقيقة عنده كامنة في المدرك الحسّي، ومن ثمّ فإنّ جوهر الشيء عنده لا ينفصل عن تحقّقه المادي "[2]؛ فالدّين يفصلون بين الشكل والمضمون يفضّلون بين الأفكار وبين المدركات الحسّية.

وعلى هذا الأساس سارت نظرية الخيال "لوكوردج"، حيث سمت هذه النظرية الخطوط الأساسية التي يُبنى عليها العمل الأدبي، ويعدّ الخيال العامل الأساسي الذي يبدع الشكل العضوي الصادر من باطن العمل الفنّي"[3].

من هنا أصبح الشكل الخارجي في الأعمال الأدبية والفنّية ليس بأي قيمة، وأصبحت قيمته في اتّحاده مع سائر العناصر المكوّنة له؛ بالإضافة إلى "كروتشيه" الذي يرى أنّه لا يمكن تصوّر مضمون خارج عن الصورة الحدسية؛ "فالفكرة لا تكون بالنسبة إلينا فكرة إلاّ إذا أمكن أن تُصاغ بألفاظ، ولا لحن الموسيقى يمكن أن يكون لحناً موسيقياً ما لم يتحقّق بأنغام ولا الصورة التجسيمية، يمكن أن تكون صورةً تجسيمية ما لم تظهر بخطوط وألوان "[4].

هذا بالنسبة إلى النقد الأوروبي، أمّا عن النقد العربي؛ فقديماً كانت هذه القضيّة تعرف بقضية "اللّفظ والمعنى"، حيث عالجها العديد من النقّاد، وانقسموا بدورهم، كما انقسم الغربيّون، فأصحاب الفرق الأوّل يفضّلون التنميق اللّفظي، ويقدّمون اللّفظ ويهتمّون به، من بينهم : "الجاحظ"؛ فقد في كتابه "البيان والتبيين" أنّ : "المعاني مطروحة في الطريق يعرّفها العجمي؛ والعربي؛ والبدوي؛ والقروي؛

---

[1] : محمّد زكي العشماوي، المرجع السابق، ص 238.

[2] : أرسطـــو، فنّ الشعر، ص 191.

[3] : محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، المرجع السابق، ص 242.

[4] : محمّد زكي العشماوي، المرجع نفسه، ص 58، نقلاً عن .. توكروتشيه المجمل في فلسفة الفنّ (ذر)، سامي الدروسي، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1947م، ص 58.

والمدني، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللّفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السبك"[1].

بالإضافة أيضاً إلى "أبي الهلال العسكري" صاحب كتاب "الصناعتين"، والذي خصّص فصلاً مستقّلاً للحديث عن أهمّية الألفاظ والمعاني وأثرها، حيث يقول :" ليس الشأن في إيراد المعاني؛ لأنّ المعاني يعرّفها العربي والأعجمي، وإنّما هو في إجادة اللّفظ؛ وصفاته؛ وحسنه؛ وبهائه؛ ونزاهته؛ ونقائه؛ وكثرة طلاوته؛ ومائه مع صحّة السبك والتركيب "[2]؛ ولكن يهمل "العسكري" المعنى تماماً وأثره، بل أعطى الأولوية لحسن تعبير اللّفظ مع صحّة التركيب والسبك .

والفريق الثالث، لا يرى أنّه من غير الممكن الفصل بين اللّفظ والمعنى، ولا يمكن تفضيل أحد عن الآخر؛ فهما متلازمان، بحيث أنّنا إذا أصبنا في اختيار اللّفظ وصلنا إلى معنى جيّد. وفي هذا نجد "ابن قتيبة"؛ و"ابن الأثير"؛ و"عبد القاهر الجرجاني" صاحب نظرية النظم؛ فـ : "ابن قتيبة" يقسّم الشعر إلى أربعة أضرب "ضرب حسن لفظه وجاء معناه، وضرب حسن لفظه وحلا، فإذا فتّشته لم نجد هناك فائدة في المعنى، وصرب جاء معناه وقصرت ألفاظه، ولفظٌ تأخّر معناه وتأخّر لفظه "[3].

وبهذا، يرى أنّ اللّغة الشعرية، يستلزم أن تتضمّن حسن اللّفظ والمعنى، وكذلك "ابن الكثير" الذي يلّح على أنّ :" عناية العرب بألفاظها، إنّما هو عناية بمعانيها "[4].

ويبلغ التداخل بين هذين إلى أقصى درجات الإلتحام في نظرية النظم التي قام بصياغتها "عبد القاهر الجرجاني"، والذي يرى أنّه : "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي إقتضاه العقل "[1].

---

[1] : أبو عثمان عمر بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح : عبد السلام محمد هارون، ج01، ط07، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، 1998م، ص 78.

[2] : أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح : علي محمّد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم عيسى، د.ط، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.س، ص 130.

[3] : ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح : أحمد محمّد شاكر، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، د.س، ص ص 08 و09.

[4] : ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح : محمّد محي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.س، ص 353.

فالكلام يستّحق اسم البلاغة حتّى يسبق لفظه معناه، ومعناه لفظه، حيث يرى الإمام "عبد القاهر الجرجاني" ضرورة التلاحم بين المعنى والمبنى، وتأثّر أحدهما بالآخر، وقد انتهى "الجرجاني" إلى نتيجة كانت مداومة في نظر التركيب الإعجازي في القرآن الكريم، وهو النموذج الأسمى والأكبر للأدب الإسلامي، والمثال الذي يستلهم منه الأدب والنقد نظرياتهم.

وهو ما عبّر عنه "السيد قطب"، حيث يقول : "إنّ هناك ارتباطٌ وثيق بين طبيعة الموضوع وطبيعة القالب، وإنّ الموضوع يتأثّر بالقالب، وقد تتغيّر طبيعته ويلحقها التشويه، إذ عُرض في قالب مخالف لطبيعة ذلك القالب"[2].

فقد دعا "السيد قطب" إلى ضرورة مراعاة الشكل والمضمون معاً، وهو ما عبّر عنه بالموضوع والقالب؛ فأيّ تشويه في الموضوع سيؤثّر حتماً على القالب.

إنّ الأدب الإسلامي هو أدب "بليغ هدفه توصيل المعنى إلى القلوب في أحسن صورة من الألفاظ "[3].

والأديب الإسلامي عليه الأخذ بعين الإعتبار الشكل والمضمون؛ فلا يجب عليه أن يعتقد أنّ دوره هو أن يعالج قضية أو يكتب وفقاً للتصوّر الإسلامي؛ "فليس لإسلامية المضمون شفيعة أن يقصّر في جمالية الشكل ولا في التجويد الفنّي"[4].

فالأديب المسلم ملتزم أكثر من غيره بأن يبلغ قمّة الروعة في الآداء الفنّي حتّى يكون أدبه رسالة تغرس في القلوب.وإذا تتّبعنا بعض الدّراسات التي تناولت الأدب الإسلامي نجدها تتّهم أتباع الأدب الإسلامي بالقصور والتركيز على المضمون فقط. وفي هذا السياق نجد "كاظم الظواهري" والذي يرى

---

[1] : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح : محمد رضوان الداية، وفايز الداية، ط01، دار الفكـــر، دمشق، سوريا، 2007م، ص 98.

[2] : سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته، ط03، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1968م، ص 15.

[3] : بن عيسى طاهر، الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي، مجلّة إسلامية المعرفية، ع: 12، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص 101.

[4] : صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط02، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002م، ص 242.

في هجومه على الأدب الإسلامي؛ أنّ الفنّ أولى من المضمون معلّلاً ذلك "بأنّ القرآن الكريم لم يتحدّ مضامين الشعر العربي ليعجزها ويعجز أهلها، وإنّما تحرّى نظمه وفنّه وإيداعه وسائر جمالياته "[1].

ومن الدين أيضاً اهتمّوا بإشكالية الشكل والمضمون المنظر الدكتور "نجيب الكيلاني"، حيث يقول : " لقد حاول الدّارسون أن يجعلوا من الأدب مضموناً وشكلاً، وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين الشكل والمضمون إلى أنّ هذا التبسيط أو التصوّر يبدو ضرورياً في بعض الأحيان توارثناه عن الفلسفات القديمة التي تحاول التجزئة أو التشريح من أجل الوصول إلى إدراك أوضح للأمور المعقّدة "[2].

في هذا المثال، رصد لنا "الكيلاني" ضرورة تلازم الشكل والمضمون؛ وأنّ النتيجة التي وصلنا إليها ما هي إلاّ تأثّر بالمرجعيات الفلسفية السابقة، وما هو إلاّ أثر سلبي على العمل الأدبي، "تبدو عملية التنظير للأدب الإسلامي ميسورة وسهلة لأوّل وهلة، وإنّها لكذلك إذا انصّب التنظير على مضمون الأدب أو منبعه الفكري، لكنّ الأمر سوف تكتنفه الصعوبة إذا ما نظرنا إلى الشكل "[3].

نجد "الكيلاني" متفائلاً واثقاً في الأحياء المسلمين، ويرى أنّ حرصهم على المضمون الفكري سيجعلهم أكثر ارتياد للتجارب الإبداعية الجديدة في كلّ لون من ألوان الأدب شعراً ونثراً.

بالإضافة إلى "عماد الدين خليل"، والذي يرى أنّ الأدب بنية متناسقة بين الشكل والمضمون، وعليه يقول : "إنّ الظاهرة الأدبية لن تتحقّق وظيفتها في الخطاب الإبداعي ما لم تتحقّق باثنتين الشكل والمضمون أو الفكر والفنّ والأدب الإسلامي في بنيته التعبيرية هو لأي أدب في العام لابّد أن ينطوي على طبقتين أساسيتين هما : المعنى والتقنيات الجمالية "[4].

---

[1] : كاظم الظواهري، منهج الأدب الإسلامي، ومفاهيم تستوجب النظر، مجلّة كلية اللّغة العربية، ع : 15، القاهرة، مصر، 1996م، ص 79.

[2] : نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 27.

[3] : نجيب الكيلاني، المصدر السابق، ص 19.

[4] : عماد الدين خليل، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ووقفة لمراجعة الحساب، مجلّة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع : 12، بيروت، لبنان، 1998م، ص 19.

فالإنحرار وراء المضمون على حساب الشكل يقود بالأدب الإسلامي إلى التدهوّر والإنحطاط والركود، و"عماد الدين" من المهتمّين بدراسة المسرح، ولاحظ أنّ بعض المذاهب المسرحية المعاصرة حاولت إحداث ترابط بين الشكل والمضمون، كذلك المسرح الإسلامي إذا أراد التعبير عن المضامين الإسلامية لابّد له أن يتّخذ شكلاً مناسباً لمضمونه، حيث يقول : "الإسلام يفرض على الإخراج المسرحي تعديلات ذات أهمّية بالغة يجب مراعاتها، إذا ما أراد للمسرحية أن تحافظ على طابعها "[1].

حيث درس ديوان "إنّها الصحوة" لـ : "محمود مفلح"، مبرّراً قضية الشكل والمضمون، درس فيه دلالة الفضاء وفضاء الدلالة؛ ففي هذا الديوان وقف عند مضمونه والذي عالج فيه صاحبه القضيّة الفلسطينية، يصوّر هذا الديوان الصدق الفنّي العجيب، يقول عنه :" ويستطيع المرء أن يمسك، كما لو أن يتعامل مع شيءٌ منظور ... أن يتجرّع لها لو أنّه يشرب علقما ... أن يشعر لو أنّ ثقلاً ما يضغط على رأسه "[2].

فقد صوّر القضية الفلسطينية بكلّ صدق، ونقلها ببراعة، وجعل من الطرف الآخر أن يشارك في تكوين العمل الفنّي. أمّا من ناحية المضمون والشكل، يقول "عماد خليل" :" إنّنا نجده في ديوانه الذي أصدره "إنّها الصحوة" يركب متن العمود، ويمنح القناعة لقرّاءه بأنه ها هنا ماثله يملك ناصية التقنيات الشعرية "[3].

واتّبع في ديوانه نظام القصيدة العمودية، وأنّه "وغيره من الشعراء المعاصرون، يمكن أن يحقّقوا تماديهم ضمن أشكال الشعر الحرّ "[4]؛ فمهارته جعلته يتألّق في نقل القضية الفلسطينية ومعالجتها من خلال ديوانه "إنّها الصحوة" شكلاً ومضموناً.

2. الإلتـــــزام في الشعر الجزائري الحديث – "محمّد العيد آل خليفة" :

لقد شاع مفهوم الإلتزام في الخطاب الأدبي والنقدي الغربي والعربي الحديث منذ عدّة عقود، وإذا بحثنا عن مصدر هذا اللّفظ أو ما يقابله في تراثنا العربي، نرى أنّه مصطلح قديم؛ لأنّ التاريخ

[1] : عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1972م، ص 193.

[2] : عماد الدين خليل، في النقد التطبيقي، ط01، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2012م، ص 38.

[3] : عماد الدين خليل، في النقد التطبيقي، المصدر السابق، ص 43.

[4] : عماد الدين خليل، في النقد التطبيقي، المصدر نفسه، ص 42.

الأدبي يروي لنا مكانةً الشاعر في القبيلة، وفاعلية الكلمة في المجتمع، ولئن اتّخذ مفهوم الإلتزام في الغرب في العصر الحديث حدوداً رسمتها له المذاهب الأدبية والفلسفية، كـ : الواقعية؛ الإشتراكية؛ والوجودية، فإنّه في الأدب العربي كان ضرورة أملتها الظروف التي حدثت في المجتمعات العربية الخاضعة للإستعمار على الأدباء الذين رأوا؛ أنّ الفّن رسالة لا تقرّ عين الأديب إلاّ بها؛ فسيطرت عليهم هذه الفكرة إلى درجة أنّهم تخلّوا عن قضاياهم الذّاتية، وضحّوا بمشاعرهم الشخصية، وتفرّغوا لقضايا الوطن والأمّة، وهذا ما سنوضّحه في هذا الحديث المتعلّق بأحد شعراء الحركة الوطنية الجزائرية وهو "محمّد العيد آل خليفة".

1.2 الدعـــــوة إلى الإلتزام بالقيم الإسلامية :

تناولت هذه المرحلة إبراز القيم الإيمانية في شعر "محمّد العيد آل خليفة"، بما لها من تأثير إيجابي في توجيه سلوك الفرد والمجتمع، وحاولنا تقصّيها من خلال الشعر الديني عند "محمّد العيد آل خليفة"، وهو الشاعر الذي تربّى في صفوف جمعية العلماء، وشارك في جهودها ضدّ الإستعمار ونضالها للحفاظ على مقوّمات الأمّة، وقد ارتبط هذا الأدب بالمناسبات الدينية والوطنية، وتناول الدفاع عن الإسلام، وعن نهج الإصلاح العقائدي والسلوكي الذي اتّخذته الجمعية سبيلاً وغايةً، كما تناول شعره الحثّ على العلم وعلى مكارم الأخلاق، وسلوك النهج القويم المستوحى من هدي القرآن والسنّة "سنّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم"، أمّا من ناحية الأسلوب واللّغة؛ فقد اتّسم شعره باللّغة السهلة والعبارات القوّية والرصيفة المتأثّرة بالقرآن والحديث التي استقاها من التراث القديم مع حسن التصرّف في المعاني والبراعة في التصوير ونزوع للتجديد وفق مقتضيات العصر[1].

اللغة القـــــرآنية في شعر "محمّد العيد آل خليفة" :

من المؤكّد؛ أنّ أثر القرآن في الحركة الأدبية، لم يكن بدعاً في حياة المجتمعات الإنسانية، وفي استجابتها للتطوّرات الفكرية؛ فالقرآن أثناء نزوله كان أسلوباً من أساليب الفكر ونمطاً من أنماط السلوك، ونظر إليه على أنّه أثر فنّي بارع ملأ النفوس دهشةً وروعةً، ومن ثمّة لابّد أن يترك آثاره في

[1] : ....، مجلّة النوازل الفقهية والقانونية، ع : 04، ....، 03 ديسمبر 2022م، ص ص 217 و239.

الحياة الفنّية، كما تركها في الحياة النفسية والاجتماعية، ومن هنا كان للأدب أن يكون قوّةً فاعلة في نطاق الدّين، وألا يحيد عنه قيد أنملة.

وهذه الظاهرة ليست بدعاً في الأدب العربي، كما يرى الدكتور : " محمود السمرة"؛ أمّا الأدب في الغرب؛ فقد نشأ نشأة دينية، وفي ظلّ الدين ازدهر؛ فإنّ الإحساسات الخلقية، والأذواق الفنّية مصدرها الدين، ومن اليونان إلى آخر الدولة الرومانية، كان مظهر الفنّ الأعياد العظيمة، وهي أعياد دينية[1]؛ وحين نتّبع الحركة الشعرية العربية في العصور المختلفة، نجد أنّ إعجاز القرآن بمعانيه ومبانيه، كان سبيلاً إلى قلوب كثير من الشعراء، وقام فيها مقام النموذج الرّفيع الذي تحاول أن تحتديه، وقد تجلّى بوضوح في الكثير من أشعار الشعراء الذين رأوا فيه المعيّن الصافي الذي لا ينضب.

وانطلاقاً من هذا، نجد الشاعر الجزائري "محمّد العيد آل خليفة"، تأثّر بعمق بالقرآن الكريم والسنّة النبوية في شعره؛ فقد تأثّر بالتيّارات الصوفية والروحية المشرقية؛ فانعكس ذلك في شعره الذي يحمل بُعداً روحياً عميقاً، وقد نشأ أيضاً في بيئة محافظة وحفظة للقرآن الكريم في سنّ مبكّرة، أثّر بشكلٍ كبير على تكوينه الأدبي والروحي[2] في قصائده؛ فإذا تحدّثنا عن الدّين والعقيدة في نظر الشاعر؛ فهذا يجعلنا نتحدّث عن الإقتباس من القرآن الكريم والسنّة النبوية، كخصيصة تسود شعره باعتباره رجّل ديني، ممّا أضفى على شعره طابعاً دينياً وروحيّاً مميّزاً، استخدم ألفاظاً ومعاني قرآنية، كما وظّف سير أبطال التاريخ الإسلامي لتحفيز الهمم والثّبات في وجه المستعمر على سبيل المثال في قصيدته "وقفة على قبـــور الشهداء".

ضمّت العديد من الألفاظ والمعاني القرآنية[3]؛ بالإضافة إلى ذلك، تناولت قصائده موضوعات دينية وروحية، مثل : الإبتهالات والمناجاة، حيث عبّر عن تأمّلاته الفلسفية والحقائق الدينية، في قصيدته "المرء في حقيقته المجرّدة"، يتناول موضوعات تتعلّق بالحقيقة والغيب، ممّا يعكس تأثّره بالمعاني

[1] : السمرة محمود، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ط01، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1966م، ص 164.

[2] : ديوان محمّد العيد آل خليفة، أدب الجزائر، المصدر السابق، ص ..

[3] : البعد الروحي في شعرية محمّد العيد آل خليفة، مجلّة فكر الثقافية، .....

القرآنية[1]؛ هذا التأثّر العميق بالقرآن والسنّة جعل شعره يحمل رسالة إصلاحية ودعوية مسلّطاً الضوء على القيم الإسلامية والروحانية في أعماله الأدبية، وذلك أنّ الوسط الاجتماعي والوظيفي، فرض عليه ألاّ يقول شعراً غير هادفٍ إلى ناحية أخلاقية أو تعليمية، وكان الدّين من أكبر العوامل التي تجتذب الأسماع وتؤثّر في القلوب، وكان "محمّد العيد" بارعاً في استيعاب المبادئ الأخلاقية والدينية وتقديمها في قالب شعري محبوب، كما تناول موضوعات الزهد؛ والتّقوى؛ والتأمّل في الكون، هذا البُعد الروحي يُظهر تأثّره بالشعراء الصوفيين المشارقة[2].

وما دُمنا نتحدّث عن الإقتباس كظاهرة عامّة لا عن نتيجته؛ فيحسن بنا أن نقول أنّه قد أكثر من الإقتباس من القرآن والحديث والآثار الإسلامية؛ فيقول مثلاً عن الإختراع الحديث :

أشار إلى الله في الذكر قائلاً : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[3] ليطلبا ويقول من نفس القصيدة.

ولقوله تعالى أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾[4] ما خلقت لتلعبا.

كما يلجأ إلى الإقتباس والتضمين من القرآن والحديث، يعمد إلى التمثيل بالأشياء التي وردت في النصوص القرآنية؛ فهو مثلاً قد شبّه قوافيه بيوسف في جمالها وحسن طالعها، وذلك إذ يقول :

وَقَافِيَةٌ أَمْسَتْ تُمَثِّلُ يُوسُفَا *** بِمَا فِيهِ مِنْ يَمَن وَحُسْنِ صِفَات.

ويشبّه النهضة بنار موسى ... كما يعمد إلى ختم القصائد غالباً بنهايات كالدعاء؛ والإستغاثة؛ والإستغفار ونحوها ... كقوله :

فَالصَالِحُ الآثَارِ جَدُوا وَاعْمَلُوا *** إنّ الخلود لصالح الأيّـــار

يخلد الله ذو الجلال ويبقـــى *** وسوى الله منتهاه النفـــاذ.

---

[1] : البعد الروحي في شعرية محمّد العيد آل خليفة، مجلّة فكر الثقافية، .....

[2] : الشعر الديني عند محمّد العيد آل خليفة.

[3] : سورة النحل، الآية : ٨

[4] : سورة الإنشقاق، الآية : ٦

وهكذا نجد هذه الروح تسود كثيراً في شعره؛ فهي روح دافعة بنّاءة تستهدف الخير؛ فهذه المضامين الإسلامية والمعاني القرآنية في شعره، دليلٌ على تأثّره العميق بالثقافة الإسلامية ورغبةً في تعزيزها[1].

ومن خلال ما رأيناه في هذا البحث؛ فإنّ الشاعر " محمد العيد" كان من الشّعراء البارزين الذين تأثّروا تأثّراً بالقـــرآن الكريم في لغتهم الشعرية بكيفية لافتة للنظر، وهو ما يُعرف عليه من ورع وتقوى، وتمسّك بالقرآن الكريم قراءةً وتطبيقاً، أن يرى في لغة القرآن النموذج الذي يجب أن يحتدى روعة بيان وسلاسة منطق، ويتأثّر بالتالي به عن وعي أو عن غير وعي في لغته الشعرية، ويتجلّى في صياغته تصويراً وتعبيراً كأن يقول مثلاً :

أعيذكم بالله أن تتقسّمـــــوا *** هوى؛ فذهاب الريح عقبي التقسّـــم[2]

فتواصلوا بالحـــق والصـــبر فيه *** والتواصي تضـــــامن وجهـــــاد[3]

وقعـــــد نامع الخوالف نخـــزى *** بضروب من الأذى ونكـــــــاد[4]

كنتـــــم خير أمّـــــة *** أخـــــرج الله لليســـــر[5]

إلى الحـــــقّ ولو أيّها القوم وجهكم *** إلى الحـــق لا يأخذكم فيه لائم[6].

---

[1] : الشعر الإسلامي عند محمّد العيد آل خليفة، مجلّة الجمعية الإيرانية للغّة العربية وآدابها.

[2] : هذا البيت اقتباس من الآية الكريمة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾، الآية : ٤٦، من سورة الأنفـــال، الديوان، ص 39.

[3] : هذا البيت من الآية الكريمة لقوله تعالى أيضاً : ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾، الآية : ٣ من سورة العصر، محمد العيد آل خليفة، المصدر السابق، الديوان، ص 118

[4] : اقتباس من الآية الكريمة في حكمه العزيز : ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾، الآية : ٨٧ من سورة التوبة، الديوان، ص 118.

[5] : اقتباس من الآية الكريمة لقوله أيضاً : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ الآية : ١١٠ من سورة آل عمران، ديوان محمد العيد، ص 154.

[6] : اقتباس من الآية الكريمة لقوله تعالى : ﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الآية : ١٤٤ من سورة البقرة، الديوان، ص 36.

إنّ ديوان "محمّد العيد" مليء بالأمثلة، ولكنّنا نكتفي بهذه الأبيات، ويتّضح لنا من هذه الأبيات؛ أنّ الشعراء المحافظين أخضعوا شعرهم لاعتبارات دينية واجتماعية وتقاليد حدّت من حريّتهم.

إنّ الجوّ الديني المحافظ الذي ترعرع فيه أغلب الشعراء الإصلاحيين، كان له تأثير مباشر في غلبة هذه النزعة عليهم، يتجلّى ذلك واضحاً عند هؤلاء الشعراء الذين كانوا يزاولون إلى جانب مهامهم التعليمية في المدارس، مهمّة الوعظ والإرشاد في المساجد، ممّا جعل الشاعر منهم يكتب القصيدة، وبأنّه يكتب الخطبة الجمعة؛ "فتجاوزت القصيدة عندهم الأسلوب الخطابي صيغةً وتعبيراً إلى العناصر التركيبية للخطبة من مقدّمة وموضوع أو مواضيع وخاتمة، وكثيراً ما تكون الخاتمة دعاء أو سلاماً أو آيةً قرآنية، الطريقة التي ألّفناها في خطب الجمعة "[1].

وتتجلّى هذه الظاهرة بصفةٍ خاصّة في هذه الإفتتاحيات التي تبدأ بالتحّية الإسلامية عادةً في القصائد التي تنظّم لتلقى في الإحتفالات الجماهيرية؛ لأنّ الشاعر والحالة هذه، يضع في اعتباره الجمهور الذي سيلتقي به، ويستمع إليه، ولا يليق بالشاعر الشيخ عندئذٍ أن يستقبل جمهوره دون بيت أو أبيات يحيّه فيها بتحيّة الإسلام بالعاصمة :

سلام عليكم روحوا الشعب بالفال *** فقد كاد يحظى بالســـــلامة في الحال
ســـــلام عليكم أيّها الـــقوم سقته *** إليكم كبســـم الله في الأمر ذي البال
تحيّة إســـــلام وعـــــنوان ألفة *** ودعوة إكـــرام، وبـــــرهان إجـــلال
سلام عليكم طبتم اليوم فادخلوا *** على اليمن مفضالاً إلى جنب مفضال[2].

وإذا لم تكن البداية، كما سبق بالتحيّة، تكون بالحمدلة، كما جاء ذلك في مثل قوله :

حمداً لمن في الحقّ غاث وعارا *** ولوجهة عنت الوجوه، صغـــاراً[3].

[1] : صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 443.

[2] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر السابق، ص 125، وانظر الصفحات الآتية : 75؛ 78؛ 79؛ 84؛ 108؛ 111؛ 116؛ 176؛ 262.

[3] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر السابق، ص 112.

أو بجملة تحمل معنى الدعـــاء :

... أفلا فلينعم العلمـــاء بالا *** وحالاً، وليدم نادي الترقي[1].

والدّعاء يكاد يكون لازمةً من لوازم قصائد العيد كلّها، كما جاء في مثل قوله :

... قد رفعنا راية المجد عليا *** وبنا للمجد جد الرحيـــل

من يقل لا تأمن الغدر قلنا *** حسبنا الله ونعم الوكيـــل[2].

هنا يتّضح لنا المكانة المرموقة التي يحتلّها القرآن الكريم في نفوس الشعراء الإصلاحيّن، وكيف القرآن عندهم معيّناً لا ينضب للثقافة؛ والتربية؛ والتوجيه، وكان لابّد أن تتّضح هذه المكانة في تجاربهم الشعرية لغةً وتصويراً، لابّد هنا أن نتناول أثر القرآن الكريم في الصورة الشعرية.

وبوسعنا أن نلمس أثر القرآن في جلّ شعر "محمّد العيد"، تعبيراً وتصويراً؛ فلا نكاد نجد قصيدة واحدة عند "محمّد العيد" لم يتّضح أثر القرآن فيها ظاهراً؛ فهو إن لم يستغلّه تصويراً استغلّه تعبيراً، وإن لم يتّضح لغةً اتّضح معنى، وما من شّك في أنّ القرآن الكريم كان يحتّل مكانةً مرموقة مقدّسة في نفس "محمّد العيد"؛ فهو من أكثر الشعراء الجزائريين ارتكازاً في صوره الشعرية على قصص القرآن الكريم وهو لا يختلف عن "مفدي زكريا" الشاعر المحافظ في اعترافه من معيّن قصص الأنبياء عليهم السلام يستلهم صورةً الشعرية من قصّة سيّدنا "موسى"؛ و"عيسى"؛ و"يعقوب"؛ و"يوسف"؛ و"سليمان".

فـ : "محمّد العيد" شديد الإعجاب بقصّة سيّدنا يوسف عليه السلام، وقد استمدّ صوره الشعرية منها أكثر من مرّة، ويعود هذا الإختيار إلى مزاج الشيخ "محمّد العيد" الذي هو شاعر إصلاحي، ورع، وتقّي إلى حدّ التصوّف يؤمن بالسّلم، والسلامة، والدّعوة بالحسنى، ومحاورة المستعمر بالأسلوب الذي لا يعرض الحركة الإصلاحية إلى الإجهاض، وهو إلى جانب ذلك يحمل نفساً أسلمت وجهها إلى الله قولاً وعملاً وسلوكاً، ومن ثمّ كان الشيخ "محمّد العيد" معجباً شديد الإعجاب بأمثال هذه المواقف التي ينتصر فيها الورع؛ والتّقوى؛ والإيمان الشديد بالله على الشيطان

[1] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر السابق، ص 34.

[2] : المصدر نفسه، ص 131.

والنّفس؛ فهو لا شكّ قد وجّه نموذجه هو الآخر في قصّة سيّدنا يوسف وهو يصارع نفسه ويقاومها في أشدّ المواقف مقاومةً للإغراء، وقد عرف عن الشيخ "العيد" هذا الصراع النفسي الذي عاشه طوال حياته، وصرّح به في العديد من قصائده[1]؛ ف : "محمّد العيد" عندما أراد أن يصف ما يمتاز به شعره من خصائص لم يجد ما يجسّد ذلك من الصور سوى ما اشتهر به سيّدنا يوسف من جمال رائع، وصفاتٍ حسنة تناهى إليه كلّ حسن وكلّ جمال، وعندما أراد أن يعبّر عن أولئك النّاس الذي لا يعيرون شعره وزناً ولا يقدرون لفضله قدره، شبّه موقفهم بموقف إخوة "يوسف" حين ألقوه في الجبّ حسداً وبُغضاً، يقول الشيخ "محمّد العيد" :

وقافيةٌ أمست تمثّل يوسفا *** بما فيه من يمن وحسن صفات

خـــلعت عليها من شعوري مطارفا *** وكللّتها ما شئت من خطراتي

وقوم رموها في غياهب جهنّم *** ويا كثر ما في الجبّ من حشرات.

ويشبّه واقع الشّعب الجزائري المضطهد من قبل المستعمر الفرنسي وليس هذا الشعب من شهادة تشهد له على معاناته للظلم الذي يلقاه صباح مساء بواقع سيّدنا يوسف المظلوم من طرف امرأة العزيز الّتي اتّهمته بما اتّهمته به باطلاً.

وطني الذي همـــوّا به ودليله *** كدليل يوسف، ثوبه المقــدود

لا يأمنوا صب العذاب عليهم *** فرعون أعتى منهم، وثمـــــود[2].

وعندما اشتدّت الأزمة الإقتصادية بالجزائريين في الثلاثينيات وطحنت الناس جوياً وعرياً، لم يجد لها شبيهاً في قسوتها وقطاعتها سوى السنين السّبع الشداد المعروفة في التّاريخ .. يوسف.

... فشا الجـــوع، واشتدّ عسر المعاش *** وعادت سنوات يوسف الغابرة[3].

[1] : محمّد العيد آل خليفة، ديـــوان، المصدر السابق، ص 11.

[2] : محمّد العيد آل خليفة، ديوان، المصدر نفسه، ص 22.

[3] : المصدر نفسه، ص 250.

ويستخدم "محمّد العيد" قصصاً أخرى من القرآن الكريم، ويستغّل قصّة سيّدنا موسى استغلالاً فنّياً لا يقّل عن استغلال "زكرياء" له؛ فيشبّه لهيب الثورة الجزائرية والتفاف الشعب الجزائري حول شعلتها المقدّسة بلهيب النّار المقدّسة التي أنارت طريق الهدى أمام سيّدنا "موسى" وقومه.

على أنّ الفرق بين الحدثين، هو أنّ سيّدنا "موسى" كان وحده حين كلّمه الله على جبل الطور، بينما كان الشعب الجزائري كلّه كليم الله على جبال الأوراس التي يرمزها إلى جبال الجزائر.

... ما شككنـــا والشعب فيها كليم *** إنّ الأوراس من سيناء

حيث صار "طـــور" التجلّي وصرنا *** كلّنا حولها من الكلماء[1].

ويوظّف "محمّد العيد" الصورة نفسها ليعبّر عن حبّه العميق للجزائر واستهـــانته بما لاقاه من مكارة في سبيلها :

ولي وطـــن حبيب لي خصيب *** وقفت على محاسنه هوايا

وإذا آنست من بلواه ناراً *** فإنّي قد وجدت به هدايا ... [2].

ويصف ما عاناه من عذاب نفسي أيّام إقامته الجبرية إبّان الحرب التحريرية بمدينة "بسكـــرة"، وهي تشبه في عزلتها محنة سيّدنا "يونس" عليه السلام، وهو يقاسي من سقام العلّة الجسدية، وعذاب العزلة النفسية، وهو بين قومه وذويه، وقد شبّه مزايا الشيخ "البشير الإبراهيمي" وأياديه البيضاء على الجزائر ومساهمته الفعّالة في نشر العلم بها بعد أن كان يميتها الجهل سيّدنا "عيسى" عليه السلام الذي يردّ الرّوح إلى الموتى أو يشبه عمله ذلك بالبشير الذي حمل قميص "يوسف" وألقاه على وجه "يعقوب" فارتدّ بصراً.

هل كنت عيســـى الذي أحيى الرفاة بما *** أحيا، وبدل آجالاً بآجال

أم "البشير" الذي ألقى القميص على *** يعقوب طبا بنور للأســى جالي[3].

---

[1] : ديوان محمّد العيد، ص 436، ومعنى هذا البيت قد سبق إليه "زكرياء" بقوله :

وكلّم موسى الله في الطور خفية *** وفي الأطلس الجبّار كلمنا جهراً

لأنّ بيت مفدي قاله في سنة 1961م، وبيت العيد .. في سنة 1965م.

[2] : محمّد العيد، ديوان، المصدر السابق، ص 217.

[3] : المصدر نفسه، ص 502.

ويلتقي "العيد" في تصويره زلزلة الأصنام بتصوّر "زكرياء" لها؛ فهو يستوحي صوره من سورة الزلزلة وجوّها، ولا سيّما في استخدام القافية الهائية، ويذهب "العيد"، كما ذهب "زكرياء" أيضاً إلى أنّ الإثم كان سبباً فيما أصاب أهالي الأصنام من كوارث؛ فشبّه فعلتهم تلك وما أصابهم من أهوال مذهلة، بالأهوال التي فاجأت أصحاب "الجنّة" حسبما جاء في سورة القلم[1].

يقول "محمّد العيد" :

... بيناقضـــوا في النوم زلفةً ليلهم *** في دورهم، متفيئين ظـــــلالها

إذ طاف بالبلوى عليهم طائف *** خسف الديار، وعجل استئصالها[2].

وهكذا يتّضح لنا أنّ "محمّد العيد" يستخدم في صوره الشعرية القصص القرآني، وكيف كان يسوق لكلّ موقف من المواقف النفسية أو الشعورية، ما يشبهه من مواقف كما حكاها القرآن الكريم؛ فجاءت في صوره الشعرية أغلب قصص الأنبياء : "إبراهيم"؛ "نوح"؛ "عاد وثمود"؛ "سليمان و"الهدهد"؛ "موسى"؛ "عيسى"؛ "يعقوب"؛ "يوسف"؛ "يونس"، ولم يقتصر توظيف القصص القرآني في بناء الصورة الشعرية على الشعراء المحافظين في عهد الإصلاح وحده، بل إنّ هذه الظاهرة يمكن التماسها حتّى عند الشعراء الشباب من جبل الثورة التحريرية؛ فعلى الرّغم من تخرّج أغلبيتهم في جامعات المشرق العربي؛ فإنّ الثقافة الدينية كانت طاغية على بعضهم؛ فظهر أثر ذلك واضحاً على اللّغة الشعرية ألفاظاً وصوراً.

وإلى جانب القرآن الكريم، نجد الشعراء المحافظين يستوحون صورهم أيضاً من الأحاديث النبوية الشريفة، ولو أنّ الإعتماد على الأحاديث يعدّ قليلاً إذا ما قيس باعتمادهم على القرآن الكريم، يقول "محمّد العيد" :

... والشاة للذئب سهمٌ *** إن قرطت في القطيع.

وهو ما استمداد واضح من قول الرسول الله صلىّ الله عليه وسلّم، أو ما في معناه :

... يد الله مع الجماعة، وإنّما يأكل الذّئب من الغنم القاصية ....

[1] : قصّة أصحاب الجنّة، الآيات : ١٧ – ٣٢ سورة القلم.

[2] : محمّد العيد آل خليفة، ديـــوان، المصدر السابق، ص 68.

انطلاقاً من هنا؛ فإنّ "محمّد العيد" لم يكن بدعاً في الشعراء في علاقته بالقرآن الكريم خاصةً إذا نظرنا إلى الفترة التي جاء فيها، فترة الإستعمار وسياسة التجهيل بمفهوميه تجفيف منابع التعليم، وتسفيه العقول بإفساد الأخلاق التي مارسها على الشّعب الجزائري، هذه الظروف اقتضت أن تكون الإنطلاقة بالرّجوع إلى المنابع الأولى، وهي الثقافة الإسلامية الأصيلة ممثّلة في القرآن الكريم الذي كان له أقوى العوامل الاجتماعية وأكثرها تأثيراً في الحياة الثقافية "بسبب ما يتضمّنه القرآن من التوجيه الشامل للحياة الاجتماعية "[1]؛ ولهذا كان من الطبيعي أن يتأثّر به "محمّد العيد" –كما تأثّر به أسلافه – وينهل من اللّغة والفكر والأسلوب، وأن يفوق تأثّره هذا جميع معاصريه، ويمكن إرجاع ذلك إلى سببين :

أوّلهما : أنّ نشأة الشاعر نشأةً دينية صرفة؛ فقد كان أبو السيد :" خليفة حم علي شيخ" طريقةً دينية في عين البيضاء، ونشأ بهذه المدينة، وحفظ القرآن ثمّ تواصل تعليمه بـ : "بسكرة" على يد مشايخ وعلماء شهرتهم دينية، وأنهى دراسته بـ : "تونس" من جامع الزيتونة الذي كانت شهرته دينية وثقافية في المغرب العربي كمعقل إسلامي عربي قديم[2].

ثانيهما : ارتباطه بالحركة الإصلاحية، وملازمته لأقطابها الثلاثة : "ابن باديس"؛ "الإبـــراهيمي"؛ "الطيب العقبي"، وقد ازدادت صلة بهؤلاء الأقطاب بعد سفره إلى الجزائر العاصمة التي كانت الحركة الإصلاحية والثقافية بها في الثلاثينيات أعظم نشاطاً وأشدّ حيوية، وكان الشاعر على اتّصال بمركز معظم هذه النشاطات وهو "نـــادي الترقي" الذي كان ملتقى العلماء والأحباب، ومنطلق اللّقاءات الفكرية، وكان ما يدور في ذلك النادي من أكبر المنابع التي استقى منه الشاعر أفكاره[3].

فالحركة الإصلاحية منذ ظهورها كان توجّهها مزدوجاً، التوجّه الأوّل؛ هو الإصلاح الديني، اعتماداً على القرآن الكريم والحديث الشريف، كما تجلّى ذلك في مدارسها، والتوجّه الثاني؛ هو

[1] : الرفاعي أحمد، الشعر الوطني الجزائري 1925م/1954م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 718هـ/1979م، ص 194.

[2] : سعد الله أبـــو القاسم، محمّد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 86.

[3] : ابن سمينة محمّد، العيد آل خليفة _ دراسة تحليلية لحياته، ص 25.

الإهتمام بالتّراث الأدبي العربي القديم الذي نظرت إليه على أنّه أقوى رافد يخدم اللّغة ويحميها، يقول "محمّد الهادي الزاهري" :

"بأنّه لا يمكن للّغة العربية أن ترقى في ألسنة أبنائها ما لم تستمّد رقيها من روائع فحول الأدب العربي القديم، من أمثال : "عبد الحميد الكاتب"؛ و"ابن العميد"؛ و"الجاحظ"؛ و"الحريري"؛ و"البحتري"؛ و"أبـــو تمام"؛ و"المتنّبي" "[1].

ومن هذين الرافدين، نهل "محمّد العيد" –كما نهل معاصروه، بيد أنّ الشاعر فاق غيره في اعتماد اللّغة والمعاني والصوّر القرآنية، ووظّفها توظيفاً موفّقاً في معظم شعره، ولعلّ ذلك يعود إلى خصائص القرآن ذاته؛ فهو كما يقول "إبـــراهيم أنيس" : " والجمال في أسلوب القرآن أنّ معظمه جاء متناسق المقاطع يصلح أن يضمن في شعر الشاعر دون مشّقة أو عنت "[2].

و"محمّد العيد" الذي حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره وتعهّده منذ صباه، وحين كان يافعاً وشابّاً، أدرك أنّ القرآن هو المثل الأعلى في قواعد النّحو والصرف والبلاغة، ولم يعرف أثراً أدبياً قبله ماثله في ذلك؛ فأكبّ عليه يستقي منه لفظاً ومعنى لدرجة أنّ معظم قصائده لا تخلو من تضمين من القرآن الكريم لفظاً ومعنى أو من الحديث النبوي والتاريخ الإسلامي ومواقف رجاله.

وقد كان "محمّد العيد" بارعاً في تمثيل النصوص القرآنية في شعره، يقول "أبو القاسم سعد الله" : " وكان الدّين من أكبر العوامل التي تجتذب الأسماع وتؤثّر في القلوب، وكان "محمّد العيد" بارعاً في استيعاب المبادئ الأخلاقية الدينية وتقديمها في قالب شعري محبوب "[3].

ويؤكّد "محمّد العيد" التصاقه الشديد بالقرآن ونهله من نبعه مفردات وتراكيب ومعاني حين يقول :[4]

يقولون هل نقبت في الكتب باحثاً *** فقلت لهم لم أقـف آثار كاتب

[1] : ناصر محمّد، الشعر الجزائري الحديث، اتّجاهاته وخصائصه الفنّية، ص ص 45 و46.

[2] : إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط03، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م، ص 309.

[3] : سعـــد الله أبو القاسم، محمّد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 216.

[4] : سعـــد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 92.

وعفت فلم أشرب من الكأس فصلة *** يزاحمني في رشفها ألف شارب

ومن كان للأسفـــــار في العلم راغباً *** فإنّي للأسفـــار لست براغب

فحولي كتب الله من كلّ شـــــارق *** تزودّني علمـــاً ومن كلّ غارب

غنيت بها غنّ كلّ درس معذّب *** وعن كلّ بحث في المراجع نــاصب[1].

فالشاعر هنا ينكر أن يكون قد تأثّر بمصدر معيّن أو اقتفى أثر أحد ولا يعترف إلاّ بكتب الله مصدراً يستمّد منه المعرفة.

و"محمّد العيد" لم يكتفِ بتوظيف اللّغة والأساليب القرآنية فحسب، بل كان متجاوباً مع المناسبات الدينية، وكثير من قصائده تصدر بعناوين مقتبسة من القرآن الكريم كـ : "قصيدة" "ختمت كتاب الله" التي ألقاها سنة 1938م بمناسبة ختم "ابن باديس" القرآن الكريم تدريساً وتفسيراً؛ فإنّ عنوان القصيدة ومناسبة إلقائها، والمكان الذي ألقيت فيه، كلّ ذلك يشهد على أنّ القرآن يشكّل المصدر الأساسي الذي ينهل منه الشاعر، ويزيد من طابع القصيدة الديني، ما وظّف فيها من ألفاظ ومعاني مقتبسة من القرآن الكريم يقول فيها :

إذا كنت حزب الله سرّاً وجهرة *** فثق أنّ حزب الله لابّد ينصر[2].

إنّ البيت مقتبس من قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾[3]؛ فهذا الإقتباس وما وضّحنا من اقتباسات كثيرة في نصوصه الشعرية السابقة، وهو اقتباس في منتهى الروعة والجمال، هو قليل من كثيرها يحمله ديوان الشاعر ومعاني القرآن الكريم التي تركت بصماتها واضحة جلية على أشعاره وأكسبتها أصالة وعمقاً وطبعتها بطابع القوّة والجزالة.

وإنّ عيب على "محمّد العيد" أنّه : " كان يسرد اللّفظة ويتركها على معناها كما هي في السياق القرآني"[4]؛ ولم يكن يفجّرها لتحمل دلالات إيحائية بعيدة عن هذا السياق، نقول أنّ "محمّد

[1] : ابن سمينة محمّد، تكملة ديوان محمّد العيد آل خليفة، ص 225.

[2] : العيد محمّد، الديـــوان، ص 159.

[3] : سورة المجادلة، الآية : ٢٢

[4] : برى حواس، شعر مفدي زكرياء _ دراسة وتقويم، ص 405.

العيد" جاء في عصر كان الشعب الجزائري فيه في حاجة ماسّة إلى الأخلاق والحرّية والخبز، وليس بحاجة إلى الشعر حدّ ذاته، لذا سخر شعره لهذه الغايات أساساً؛ فلم يكن الشعر عنده ترفاً فكرياً فهو "يهدف في أكثر ما يقول إلى غاية دينية واضحة"[1].

[1] : سعـــد الله أبو القاسم، محمّد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 100.

الخاتمة

الخاتمة :

وبعد رحلة بحثية معمّقة في شعر "محمّد العيد آل خليفة"، تبيّن لنا أنّ الإتّجاه الإسلامي لم يمجرّد نزعة دينية عبارة في تجربته الشعرية، بل كان جوهراً متأصّلاً في رؤيته الإبداعية والفكرّية؛ فقد وظّف قلمه لخدمة القيم الإسلامية والنهضة الوطنية، ما يعزّز الهوّية الدينية والثقافية للشعب الجزائر، لقد كان شعره مرآةً صادقة تعكس تطلّعات الأمّة وآمالها في التحرّر والكرامة؛ فقد شكّل الإسلام بالنسبة له مرجعيّة قيمية ثقافية، استند إليها في التعبير عن قضايا أمّته والدّفاع عن هويتها، ومقاومة الإستعمار، وإحياء روح الإصلاح والتّجديد.

إنّ التزام "محمّد العيد آل خليفة" بالثوابت الإسلامية لم يكن مجرّد تكراراً للموروث، بل كان تجديداً واعياً يربط بين المضي والحاضر، ويستشرف المستقبل.

هكذا كان الشاعر فتح جفنية على وطن في العشرينيات؛ فوجده جريحاً يئنّ تحت خنازير جلادي الإستعمار؛ فانعكس ذلك على شعره الذي وقفه على وطنه وشعبه، وأدرك أنّ الخلاص لا يكون فردياً؛ فكان صوت الشباب داعيةً إلى تكوينه بالأخلاق والعلم ليحمل مشعل التحرير؛ فقاوم الفساد والإنحلال والفقر.

ولهذا كان الاتّجاه الإسلامي بالنسبة له سمة مركزية في شعره؛ فقد مثّل له خلفية حضارية وثقافية، وإطاراً فكرياً؛ وروحياً؛ وجمالياً؛ فقد كان شاعراً إصلاحياً ملتزماً، مزج قصائده بين التوجيه الديني والنضال الوطني، فسعى إلى إحياء القيم الإسلامية الأصلية، والدعوة إلى التمسّك باللّغة العربية، والإنخراط في مشروع النهضة والإصلاح الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تميّز شعره باستحضار مكثّف للرموز القرآنية والتاريخية واستدعاء لشخصيات إسلامية كانت تمثّل له نماذج في الصبر؛ والجهاد؛ والعدل، كما اعتمد على خطاب وعظي تربوي موجّه إلى المجتمع، يدعو فيه إلى الإلتزام بالأخلاق والعلم، ويحضّ على مقاومة الجهل والإنحلال.

وفي الثلاثينيات انبثقت عن الوعي الوطني حركة إصلاحية، كان الشاعر أحد أعضائها ولسان حالها؛ فانتماءه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتفاعله مع الحركة الإصلاحية، عزّزا من حضوره كصوت شعري ملتزم، يعبّر عن آمال الشعب الجزائري وتطلّعاته في التحرّر والنهضة،؛ فقد

أسهم بشكلٍ فعّال في إثراء الشعر الإسلامي، وجعل من قصائده منبراً للدعوة إلى الإصلاح والتغيير، مستلهماً من تعاليم الإسلام ما يعين على بناء مجتمع متماسك ومتحرّر من الاستعمار والجهل؛ فتأثّر "محمّد العيد آل خليفة" بالحركة الإصلاحية الإسلامية برز في شعره؛ فلغته كانت تحمل حسّاً حضاريّاً، إذ كان من بين حرّاسها الأمناء على شخصية الجزائر العربية الإسلامية، إذ ارتكز شعره على قيم التوحيد؛ والعدل؛ والحرّية؛ والتضامن، واستوحى من تاريخها الحافل أروع آياته من أمجاده السالفة لتكون حافزاً قوّياً على النهوض، وقد عرفت هذه الحركة الإصلاحية بالتحدّي؛ فكانت لا تتوقّف عن إصدار الجرائد، وكان لـ : "محمّد العيد" حظّ كبير في ذلك، إذ استجاب لهذا الواقع؛ فكان شعره صدى لكثير من الأحداث السياسية؛ فخاطب فرنسا قائلاً بأنّ للشعب وزناً؛ ووطناً؛ وشخصيةً؛ وتاريخاً، فقارع أعداء الإسلام الصليبيين والمفتونين بهم، وحارب الطرقية، وحيا الزعماء، وضمّد جراح شعبه، وحثّ على وحدة الصفّ ولمّ الشمل.

وبعد مأساة الثامن مـــاي 1945م أصيب الشاعر كغيره من أدباء الجزائر بفترة ذهول دامت ما يقرب سنتين، نطق بعدها بقصيدة "لا أنسى" التي كانت تحوّلاً كبيراً في المضمون الشعري الثوري عنده.

ولم يقف "محمّد العيد" بشعره في إطار النظرة الوطنية المحدودة، وإنّما تجاوزها إلى سائر أقطار العروبة مشرقاً مغرباً؛ فدعا إلى الوحدة، وشارك جميع العرب أفراحهم وأتراحهم؛ فهلّل الإستقلال ليبيا والسودان، ورأى في ذلك بداية تحرّر للأمّة من الاستعمار، ورثى "أحمد شوقي"؛ و"حافظ إبراهيم" اعتزازاً بالعروبة والإسلام.

وكما سخّر "محمّد العيد" قوامه المعنوية للمقاومة بكلّ أشكالها؛ فقد سخّر قواه الفنّية لذلك؛ فعلى الرغم من المناسباتية التي تميّز بها شعره والتي كانت مصدر استلهامه للمعاني؛ فإنّه خلا من النزعة الذّاتية التي تطبع شعر المناسبات عادةً؛ فكان ملتزماً إلى أبعد الحدود بقضايا الوطن والشعب؛ فقد عاش لغيره؛ فعاش عالماً أوسع؛ عصره؛ جيله؛ وأمّته، عاش هموم الجميع وعبّر عنها بصدق.

وبالرغم من كون شعره جاء في مرحلة نسخت فيها الثقافة العربية أو كادت؛ فقد تميّز بفصاحة اللّغة، وقوّة بيانها، وحسن سبكها، حيث جارى كبار شعراء العصر العبّاسي، وقد رأى الشاعر في ذلك تمسّكاً بالأصالة، وشكلاً من أشكال المقاومة للثقافة الغازية.

وإن اضطرّ الشاعر إلى لغةٍ قاموسية في الغالب لمخاطبة شعبه؛ فإنّ ذلك لم يحلّ دون أن تكون هذه اللّغة شاعرية إيحائية.

وقد تميّز "محمّد العيد" بنوع من التسامي الروحي؛ فتجلّى ذلك في أسلوبه التعبيري؛ فاتّخذ من القرآن الكريم منهلاً عذباً، ينهل منه الألفاظ والمعاني والرموز والصور البيانية التي لم تكن في الغالب تخرج عن المفهوم القديم الذي يحصرها في التشبيه والإستعارة، والكناية وحتّى الرموز التي كان الشاعر يستمدّها من القرآن أو من التراث كانت قريبة المنال يفهمها شعبه، ولم تكن رموزاً غريبة شاذّة، كما هو الشأن عند بعض المدارس الأدبية.

إنّ شعر "محمّد العيد آل خليفة" يمثّل نموذجاً للشعر الإسلامي الذي يجمع بين الجمالية الفنّية والرسالة الأخلاقية، وقد كانت المضامين التي تناولها الشاعر "محمّد العيد" وفق الطريقة التي ارتآها جزءاً من هم الشعب آنذاك، وعبّرت عن آلامه وآماله؛ فتجاوب الشعب مع هذا الشعور، ورآه في قمّة الفنّ، وحسب "محمّد العيد" أنّه استطاع أن ينفذ إلى عقل الشعب من خلال قلبه.

ومن خلال هذه الدراسة، يمكن القول أنّ شعر "محمّد العيد آل خليفة" يمثّل تجربة متفرّدة في الشعر الجزائري الحديث، حيث وازن بين الإلتزام الديني والهمّ الوطني، وبين الوظيفة التعبيرية والوظيفة التوجيهية للشعر، وهو بذلك يفتح آفاقاً جديدة للباحثين في مجال الشعر الإسلامي، ويؤكّد ضرورة إعادة قراءة تراثنا الأدبي بمنظار جامع بين التحليل الفنّي والرؤية الفكرية.

- وفي الختام، نأمل أن تكون هذه الدراسة، قد وفّقنا في تقديم إسهام متواضع في فهم البعد الإسلامي في شعر "محمّد العيد آل خليفة"، وإبراز أهم ملامحه الفنّية والفكرية، بما يخدم الذاكرة الثقافية والأدبية الجزائرية، ويدعو إلى البحث في تجارب شعرائنا الإصلاحيين الذين جمعوا بين الأصالة والإلتزام والإبداع.

قـــائمة الملاحق

ملحق رقم (01) : يوضّح صورة الشاعر الجزائري "محمّد العيد آل خليفة"[1].

[1] : ولد الشاعر محمد العيد يوم الأحد لستة عشر يوما خلى من جمادى الآخرة عام 1322 للهجرة الموافق لـ 28 أغسطس سنة 1904 للميلاد في بلدية عين البيضاء بولاية أم البواقي. وسط عائلة دينية محافظة متصوفة تنتمي إلى الطريقة التجانية تنحدر أصلا من بلدة كوينين من ولاية واد سوف. انتقل مع أسرته إلى مدينة بسكرة ليكمل بها حفظ القرآن الكريم ويجلس في دروس الشيخ علي بن إبراهيم العقبي إلى سنة 1921م، حين ألزم الشيخ سيدي العيد الثاني والده بإرساله إلى جامع الزيتونة للدراسة بعد أن كان ينتدبه للعمل معه في التجارة، وهذا مما جعل الشاعر محمد العيد يعطي المقام حقه، فقد رثا صاحب نعمته حين وافاه الأجل ببسكرة، انتسب محمد العيد إلى جامع الزيتونة، وأصبح طالبا في الطبقة الثالثة (سبع طبقات) وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها ومشايخها منهم الشيخ المختار اليعلاوي أرطبار في دروسه الليلية بالمسجد العتيق ليدرس عنه الفقه والحساب والفلك... وفي سنة 1927م انتدبته جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة معلما بمدرستها فمكث بها معلما لمدة ثلاث سنوات ثم مديرا لها خلفا للشاعر محمد الهادي السنوسي إلى غاية 1941م ليعود إلى بسكرة فمكث بها عدة أشهر ثم انتقل إلى باتنة، نقلاً عن الموقع الإلكتروني : https://ar.wikipedia.org

ملحق رقم (02) : يوضّح تآليف من مؤلفات الشاعر الجزائري "محمّد العيد آل خليفة"[1].

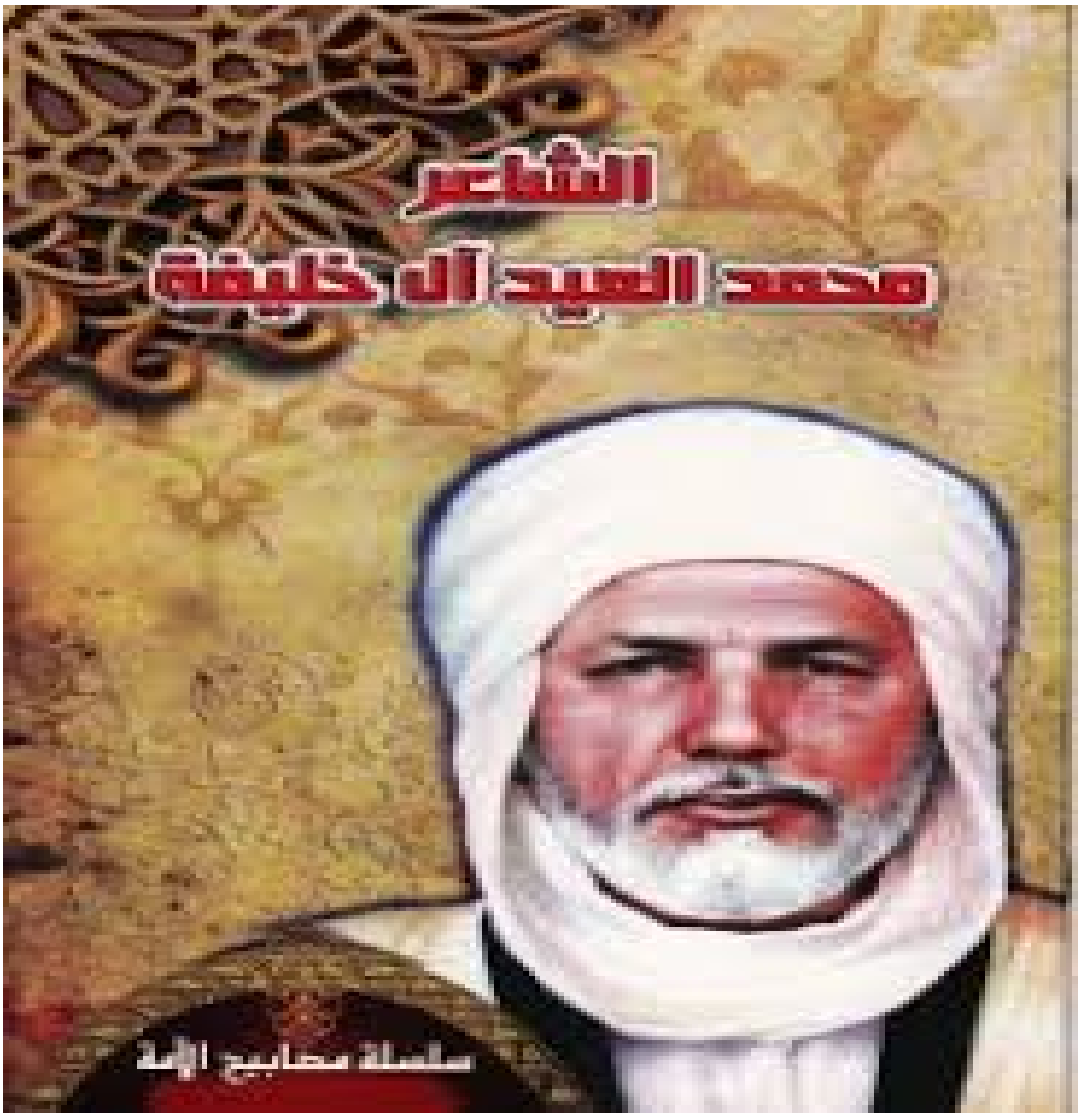

[1] : نقلاً عن الموقع الإلكتروني : https://ar.wikipedia.org

قائمة المصادر والمراجع

❖ قائمة المصادر والمراجع :

✍ **قائمة المصـــــــادر :**

1. ابن جرير، ديوان، تح : محمّد إسماعيل الصاوي، د.ط، دار الأندلس، بيروت، د.ت، د.ص.
2. ابن سمينة محمّد، العيديات المجهولة، تكملة الديوان محمـــد العيد آل خليفة، د.ط، مؤسسة الوطنية للفنـــون المطبعية، الجزائر، 2003م.
3. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح : أحمد محمّد شاكر، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، د.س.
4. ابن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطالب)، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.س.
5. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر "محمّد العيد آل خليفة"، د.ط، دار الرائد للكتاب، د.س.
6. أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمّد العيد آل خليفة، د.ط، دار الرائد للكتاب، د.ب، د.ت.
7. أبو اليقظان، موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، البصائر، ع : 01، دار البعث، قسنطينة، 27 ديسمبر 1935م.
8. أبو عثمان عمر بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح : عبد السلام محمد هارون، ج01، ط07، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، مصر، 1998م.
9. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح : علي محمّد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم عيسى، د.ط، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.س.
10. أبـــي اليقظان، ديـــوان، د.ط، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.
11. أبي يقظـــان، ديـــوان، ج01، ط01، المطبعة العربية في الجزائر، الجزائر، 1350هـ.
12. ركيبي عبد الله، الشعر الديني الجزائري الحديث، ط01، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م.
13. سـعد الله أبـو القاسـم، الحركـة الوطنيـة الجزائريـة، ج02، د.ط، دار الغـرب الإسـلامي، 1900م/1930م.
14. سعد الله أبو القاسم، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط02، دار المعارف، مصر، 1968م.

15.سيد قطب، خصائص التصوّر الإسلامي ومقوّماته، ط03، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1968م.

16.ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح : محمّد محي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، مصر، د.س.

17.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح : محمد رضوان الداية، وفايز الداية، ط01، دار الفكـــر، دمشق، سوريا، 2007م.

18.عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، د.ط، الشرطة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.

19.عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، د.ط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981م.

20.العيد محمد آل خليفة، الديوان، ط01، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث، قسنطينة، 1967م.

21.محمّد العيد آل خليفة، أدب الجزائر، د.ط، مطبعة البعث، الشركة الوطنية للنشر، قسنطينة، 1967م.

22.محمد العيد آل خليفة، البعد الروحي، مجلّة الفكر الثقافية، ع : ... بلد، سنة، ص ..

23.محمّد العيد آل خليفة، الشعر الديني، موقع الدكتور الشارف لطرش، مجلّة حوليات التراث، ع : 02، جامعة مستغانم، 2004م.

قائمة المراجع :

1. .. توكروتشيه المجمل في فلسفة الفنّ (ذر)، سامي الدروسي، د.ط، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1947م.
2. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط03، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م.
3. خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتـاب، الجزائر، 1984م.
4. خـــرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
5. خـــرفي صالح، صفحات من الجزائر، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
6. رمضان محمود، بذور الحياة، د.ط، د.د.ن، تونس، 1928م.
7. السمرة محمود، القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ط01، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1966م.

8. صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ط02، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2002م.
9. العلوي محمّد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1985م.
10. عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، ط02، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1972م.
11. عماد الدين خليل، في النقد التطبيقي، ط01، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2012م.
12. محمّد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، د.ط، د.د.ن، دمشق 1931م.
13. محمّد الهادي السنوسي الجزائري، شعراء الجزائر في العـــصر الحاضر، ج01، د.ط، المطبعة التونســـية، تونس، 1926م.
14. مصايف محمد، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ب، 1979م.
15. ناصر محمّد، الشعر الجزائري الحديث اتّجاهاته وخصائصه الفنية، ط02، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 1935م/1975م.

✍ **قائمة الرســائل الجامعية :**

1. بن برزوق نصر الدين، الأسلوب في شعر محمّد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1995م/1996م.
2. الرفاعي أحمد، الشعر الوطني الجزائري 1925م/1954م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 718هـ/1979م.
3. فاطمة ولد حسين، الألفاظ السامية في ديوان محمّد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير في اللغويات، جامعة قسنطينة، 1992م/1993م.

✍ **قائمة المجـــلات:**

1. إبـــراهيم بن نوح، امتياز النجاح، ع : 1902، (1217م/1930م).
2. جريدة البصـــائر، ع : 143.
3. جريـــدة الشـــهاب، الأعـــداد ج08، م05 إلى ج12، م05 أيضـــاً وادي ميـــزاب ع : 119 (1929/02/01م).
4. جريدة الشهـــاب، ج04، م10، (مـــارس 1934م).

5. جلول البدوي وحافظ وشوقي، هنا الجزائر، ع : 09، جانفي 1953م.
6. سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية بالجزائر، مجّلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع : 01، (1964م).
7. عبد المجيد حيرش، الرافعي، الشهاب، ج05، م13 (جوليت 1937م).
8. محمّد الأخضر السائحي، البارودي في العصر الحديث، هنا الجزائر، ع : 127، أوت 1954م.
9. محمّد الهادي السنوسي، هنا الجزائر، ع : 27، (جويلية) 1954م.
10. محمّـــد بـــن ددّوش التلمســـاني، الصـــريح (التونســـية)، انظـــر الأعـــداد : 42؛ 53 (1949/11/19م).
11. المقال بإمضاء الرافعي بمناسبة ذكراه الأولى، الشهاب، ج07، م 14 (سبتمبر 1938م).
12. ملفوف صالح الدين، جليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الأثر، ع : 20، جامعة خميس مليانة، الـــجزائر، جوان 2014م.
13. النجـــاح، ع : 828.
14. وزارة الشؤون الدينية، آثار ابن ابن باديس، ج03، ط01، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
15. بن عيسى طاهر، الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي، مجلّة إسلامية المعرفية، ع: 12، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
16. كاظم الظواهري، منهج الأدب الإسلامي، ومفاهيم تستوجب النظر، مجلّة كلية اللّغة العربية، ع : 15، القاهرة، مصر، 1996م.
17. عماد الدين خليل، حول حركة الأدب الإسلامي المعاصر ووقفة لمراجعة الحساب، مجلّة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع : 12، بيروت، لبنان، 1998م.
18. جريدة الشـــــهاب، ع : 81، (1927/01/27م).
19. وادي ميزاب، ع : 22، (1927/03/04م).
20. أحمد الأكحل، ما هو الشعر ؟ النجاح، ع : 828 (1929/11/20م).
21. جريدة الشهـــاب، ج10، م 05، 08 أكتوبر 1932م.
22. جريدة الشهاب، ع : 11، م08 (نوفمبر 1932م).
23. الزاهري وطه حسين وشعوبي ماكر، الصراط، ع : 04، (1933/10/09م).
24. الإفتتـــاحية، البصائر، ع : 02، (1947/08/02م).

25.جريدة البصـــائر، ع : 26 (1949/07/11م).
26.هنا الجزائر، ع : 05، (1954/07/27م).
27.جريدة البصـــائر، ع : 297، (1954/12/17م).
28.محمّد علي دبوز، مجلّة البصائر، ع : 366، (1955/10/02م)، د.ب، د.س.
29.مقابلة مع الشيخ "محمّد العيد"، الشعب الأسبوعي، ع (1976/10/28).
30.....، مجلّة النوازل الفقهية والقانونية، ع : 04، .....، 03 ديسمبر 2022م.

قائمة المواقع الإلكتـــرونية :

1. نقلاً عن الموقع الإلكتروني : https://ar.wikipedia.org
2. نقلاً عن الموقع الإلكتروني : https://ar.wikipedia.org

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

البسمـــــــــــلة

شكر وتقديـــــــر.

إهـــــــــــداء.

قـائمة المختصرات.

مـــــقدمة :..... أ

مدخـــــل : المؤثرات الإسلامية في شعـــره.

01. المؤثّـــرات البيئية والاجتماعية في شعر الشاعر._____ 06

02. التأثيـــر المشرقي في شعر "محمّد العيد آل خليفة".____ 10

الفصل الأول : القضـــايا الدينية والإسلامية في شعره.

01. العقيـــدة الإسلامية والتوحيد._____ 22

02. الإصـــلاح الديني._____

03. المنـــاسبات الدينية._____

04. الأخـــلاق والعبادات._____

الفصل الثاني : الخصائص الفنّية والجمالية في شعـــره.

01.قضية الشكل والمضمون._____ 46

02. الإلتـــزام الديني في شعـــره._____ 51

03. اللّغـــة القرآنية._____ 52

04. السيرة النبـــوية._____

05. الـــدفاع عن الإســـلام._____

الخـــاتمة :_____ 66

قـــائمة الملاحق :_____ 70

قـــائمة المصادر والمراجع :_____ 73

ملخص :

توسّعت الحركة الإصلاحية بالجزائر إبّـــان فترة الإحتلال الفرنسي، وشملت مختلف مناحي الحياة بما فيها الأدب، فكان الشعر من أهم أسلحة الفكر الإصلاحي ووسيلة لليقظة الدينية، وكان الشاعر(محمد العيد آل خليفة) من أبرز شعرائها الذين دافعوا عن مقومات الشعب الجزائري وعن مبادئ الدين الإسلامي، فجاء شعره معلماً ومرشداً ومنوراً للعقول، ودرعاً واقياً في وجه البدع والخرافات التي عمل المستعمر على نشرها. ويحاول هذا المقال رصد مختلف الإنجازات التي حققّها شعره، وتتبع إسهاماته في تحقيق البنية الإصلاحية على جميع الأصعدة.

الكلمات المفتاحية : الإستعمـــــار؛ الإنحلال الأخلاقي؛ الشعر الإصـــــلاحي.

Résumé

Les contributions du poète mouhammed El Aid Al Khalifa dans la constitution de la réformation Le mouvement de la réforme s'est propagé en Algérie durant le colonialisme, touchant à touts les domaines de vie et même la littérature. La poésie était l'un des plus importantes armes de la pensé réformatrice et de la vigilance religieuse. Le poète Mouhammed El Aid Al Khalifa était l'un des plus éminents poètes qui ont défendu les principes du peuple algérien ainsi que ceux de la religion islamique. Sa poésie était une lumière qui guide et éduque les pensées et un bouclier protecteur face aux hérésies et superstitions que le colonialiste a toujours taché de les annoncer. Cet article à pour but d'observer les différentes réalisations de sa poésie et de suivre ses contributions dans la constitution de la réforme dans touts les domaines.

Les mots clefs : le colonialisme, la décadence morale, la poésie réformiste.

Abstract :

The role of the poet Mohammed Eid al Khalifa to the achievement of the reformist structure. (some of his poetry) Expanded reform movement circle in Algeria during the French occupation period, and included various walks of life, including literature, was the hair of the most important weapons of this movement and as a means of religious awakening, and the poet (Mohammed Eid Al Khalifa) of the most prominent poets who fought all the elements of the Algerian people and defended the principles of religion Islamic, It was his poems editor and anti-exploitation and slavery, and a mentor and a teacher of the Algerian minds, and a reformer on the Ethics of community sought colonialism on the destruction of its infrastructure was as a shield from various fads and myths that chives work published. This article is trying various achievements of the hair is to monitor trace his contributions to the achievement of the reformist structure of the islands at various levels.

key words : *ignorance and colonial- Colonialism and exploitation of ignorance Poems reform*